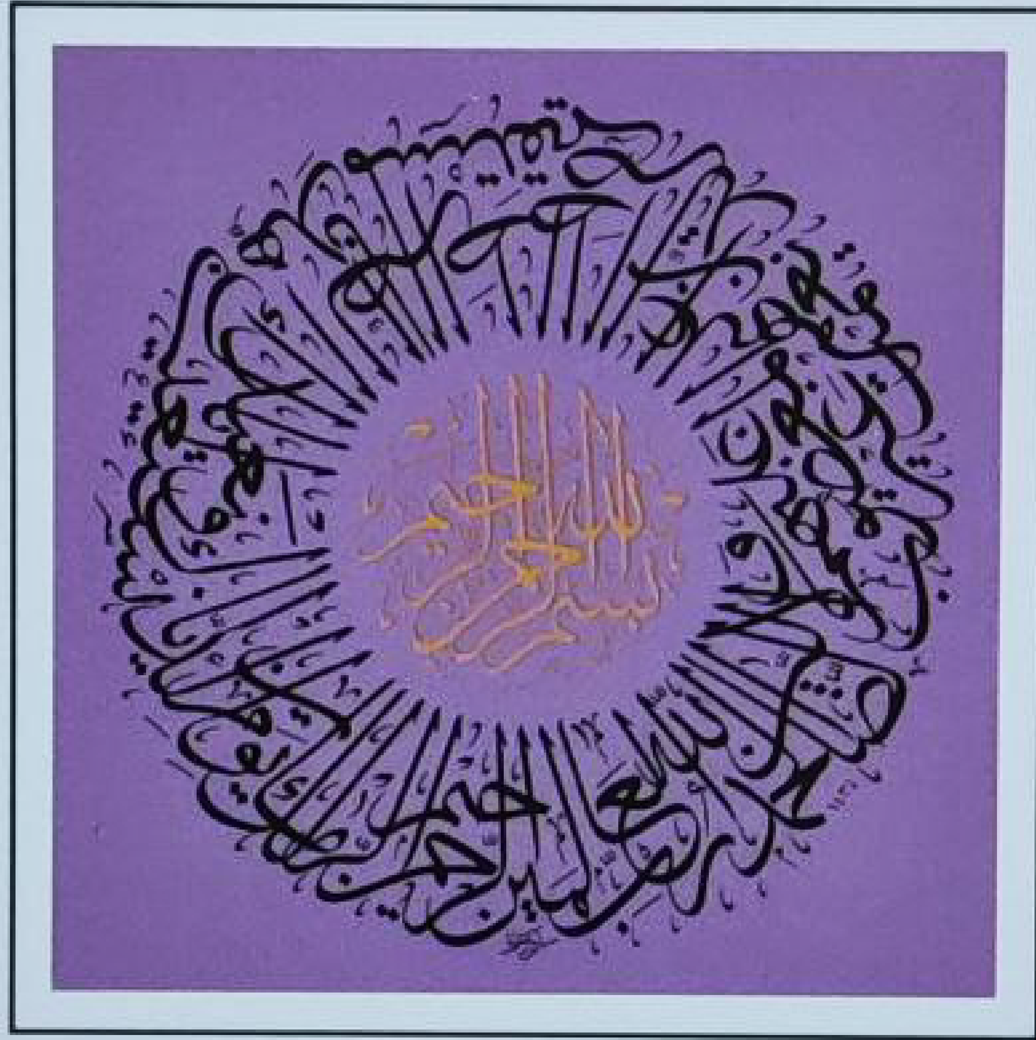
أكرم بركات

الفاتحة

خلاصة المعرفة الدينية



مجموعة يسألونك

بيت السراج
بيروت | لبنان

الفَاتِحَةُ

خُلَاصَةُ المَعرِفَةِ الدِّينِيَّةِ

اســـــم الكـــتــــاب: الفاتحة خلاصة المعرفة الدّينيّة

الــــمــــؤلِّـــف: أكرم بركات

الــــنـــاشـــــر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطـبعـــة الأولـــى: بيروت ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

تصميم وطباعة:

DBOUK

0096113336218

الفَاتِحَةُ

خُلاصَةُ المَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ

أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة مسجد القائم 

مجموعة كتب يلامس محتواها حاجة الناس

في الفكر والسلوك وتضيء على طريق سعادة الإنسان،

وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة لبيروت

ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك

عسى أن تكون محلاًّ للقبول.



الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الخلق وأعزّ المرسلين، محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين.

ضمن السّلسلة الرمضانيّة التي دأبــتُ على الاهتمام بتحضيرها وإلقائها في مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف منذ سنوات مضت كان تفسير بعض سور القرآن الكريم من النّعم التي أفاضها الله عزّ وجلّ عليّ، ومن تلك السّور كانت سورة الفاتحة باباً من أبواب تلك النّعم من خلال مقاربة تفسيرها في سلسلة من المحاضرات المسجديّة.

وهذا الكتاب عبارة عن تقريرٍ لما ألقيته من تلك المقاربة التي حاولت فيها الجمع بين البعدين العلميّ والعمليّ الواقعين ضمن المنظومة الدّينيّة المعرفيّة والسّلوكيّة، سائلاً المولى عزّ وجلّ أن يجعله ذخراً لي يوم القيامة.

أكرم بركات



بسم الله الرحمن الرحیم

1 عند عتبة الفاتحة

منزلة سورة الفاتحة وآثارها

امتازت سورة الفاتحة المباركة بالعديد من المميّزات، منها أنّها:

- السّورة القرآنيّة الأولى بحسب الترتيب النبويّ للقرآن الكريم.

تقع في المرتبة الأولـى بين سور الكتاب العزيز من حيث اهتمام المسلمين بها، فلا صلاة إلاّ بها، ففي الحديث: **«لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب»**[1].

- التـي اعتـاد المسـلمون أن يقرؤوهـا عنـد قبـور أمواتهـم، لمـا ورد مـن الحـثّ علـى ذلـك، فعـن الإمـام الصّـادق عليه السلام: **«إذا دخلت القبـر، فاقرأ أمّ الكتـاب والمعوّذتيـن وآيـة الكرسـيّ»**[2].

---

(1) الطوسيّ، محمّد، الخلاف، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، 1407هـ، ج1، ص327.

(2) الصّدوق، محمّد، الهداية، تحقيق ونشر مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، ط1، 1418هـ، ص116.

- كلام الله المختار لتسكين الألم وشفاء المرض؛ ففي الحديث: **«ما قُرئت الحمد على وجع سبعين مرّة إلاّ سكن»**[(1)]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء»**[(2)]، وعن العالم عليه السلام: **«من نالته علّة فليقرأ في جنبه أمّ الكتاب سبع مرّات، فإن سكنت، وإلاّ فليقرأ سبعين مرّة، فإنّها تسكن»**[(3)].
- التي يُقدِّمها المؤمن وسيلةً لقضاء حاجته، فعن الإمام الصّادق عليه السلام: **«إذا كانت لك حاجة، فاقرأ المثاني، وسورة أخرى، وصلِّ ركعتين، وادع الله»**[(4)].
- التي ورد في فضلها عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«سمعت رسول الله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال:**

---

(1) الكلينيّ، محمّد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط5، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1363هـ.ش، ج2، ص623.

(2) المصدر السّابق، ص 626.

(3) ابن بابويّه، عليّ، فقه الرّضا، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت، ط1، قم، 1406هـ ص 342.

(4) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق ابراهيم الميانجي ومحمّد البهبودي، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403هـ ج82، ص 20.

يا محمّد، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾[1]، فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ الله عزّ وجلّ خصّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه عليهم السلام ما خلا سليمان عليه السلام؛ فإنّه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

مكان نزول الفاتحة

في مكان نزول هذه السّورة المباركة قيل:

1. نزلت في مكّة المكرّمة.
2. نزلت في المدينة.
3. نزلت مرّتين، مرّة في مكّة، ومرّة ثانية في المدينة تأكيداً لأهميّتها، ومبالغةً في تشريفها، والقول الأوّل هو لأكثر المفسّرين.

---

(1) سورة الحجر، الآية 87.

(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج89، ص 227.

وما يؤكّد مكيّتها أنّ الصلاة شُرِّعت في مكّة، وقد أكّد النبيّ ﷺ أنّه: «لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب»[(1)].

وما يدلّ على ذلك أنّه لا خلاف في كون سورة الحجر مكيّة، وقد اشتملت هذه السّورة المباركة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[(2)]، والسّبع المثاني هي سورة الفاتحة[(3)].

أثر نزول الفاتحة

عن أثر نزول سورة الفاتحة ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «رنّ إبليس أربع رنّات: أوّلهنّ، يوم لُعِن، وحين أُهبِط إلى الأرض، وحين بعث محمّد صلّى الله عليه وآله على حين فترة من الرّسل، وحين أُنزلت أُمّ الكتاب»[(4)].

(1) المصدر السّابق، ج80، ص164.

(2) سورة الحجر، الآية 87.

(3) الصّدوق، محمّد، الهداية، ص116.

(4) الصّدوق، محمّد، الخصال، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، 1403 هـ ص263.

أسماء الفاتحة

1. السّبع المثاني، وهو ما ورد في الآية المتقدّمة، وقد ذُكر في سرّ كونها سبعاً أنّها تتكوّن من سبع آيات، أمّا سرّ تسميتها بالمثاني في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾[1] ففيه أقوال هي:

1.1. لأنّها تقرأ في الصّلاة مثنى، أي مرّتين في ركعتين[2].

1.2. لأنّها نزلت مرّتين في مكّة والمدينة[3].

1.3. لأنّ الله تعالى استثناها وادّخرها لهذه الأمّة دون الأمم الماضية[4].

2. الحمد؛ لأنّها تبدأ بعد البسملة بالحمد لله.

3. أمّ الكتاب، وقد وردت هذه التّسمية في العديد من

---

(1) سورة الحجر، الآية 87.

(2) الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ط4، بيروت، دار الزّهراء، 1975م، ص418.

(3) المرجع السّابق نفسه.

(4) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت)، ج12، ص191.

الرّوايات الواردة عن النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ففي الحديث المتقدّم: **«إذا دخلت القبر، فاقرأ أمّ الكتاب والمعوّذتين وآية الكرسيّ»**[1].

وعن العالِم عليه السلام: **«من نالته علّة فليقرأ في جنبه أمّ الكتاب سبع مرّات، فإن سكنَتْ، وإلاّ فليقرأ سبعين مرّة؛ فإنّها تسكن»**[2].

ومصطلح أمّ الكتاب ورد في القرآن الكريم في عدّة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[4] أي اللّوح المحفوظ.

ونقارب سرّ تسمية الفاتحة بأمّ الكتاب من خلال المعنى اللغويّ للأمّ، فقد قيل: إنّ معنى الأمّ هو:

---

(1) الصّدوق، محمّد، الهداية، ص116.

(2) ابن بابويه، عليّ، فقه الرضا، ص342.

(3) سورة الزخرف، الآية 4.

(4) سورة الرعد، الآية 39.

3.1 الجامع؛ إذ تُسمّى المادّة التي تجمع الدّماغ: أمّ الرأس[1]، وبناءً على هذا سُمِّيت الفاتحة بأمّ الكتاب؛ لأنّها جامعة لما فصّله القرآن الكريم، فمضمونها يدور حول الربوبيّة والنبوّة والمعاد، وما بين المبدأ والمعاد، والفاتحة حوت كلّ هذا باختصار.

3.2 المتقدّم على غيره، فالعرب تسمّي كلّ متقدّم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه «أمّاً»، فكانوا يسمّون راية العسكر أمّاً لتقدّمها عليهم[2].

4. **الأصل؛** باعتبار أنّ الفاتحة أصلٌ للقرآن الكريم؛ لأنّ الله أودعها مجموع ما في السّور كما تقدّم[3].

5. **الكافية؛** لأنّها تكفي عمّا سواها، ولا يكفي ما سواها

---

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج54، ص 364.

(2) أنظر: الطوسيّ، محمّد، التبيان، تحقيق أحمد العامليّ، ط1، (لا،م)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1409هـ ج1، ص 52.

(3) الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، 1415هـ ج1، ص47.

عنها[1]. وقد ورد هذا المضمون في حديث نبويّ هو: **«أمّ القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عوضاً منها»**[2].

6. **الوافية**؛ ويبدو من معنى هذا اللفظ، أنّ سبب تسميته به هو أنّها تفي بالمطلوب من خلال مضامينها الرّاقية، لكن الملاحظ أنّ الشيخ الطبرسيّ ذكر في علّة تسميتها بهذا الاسم هو كونها لا تنتصف في الصّلاة[3].

7. **الأساس**؛ أو أساس القرآن، لما روي عن ابن عبّاس: **«أساس القرآن الفاتحة»**[4].

8. **الصّلاة**؛ لما روي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«قسّمت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي، ونصفها لبعدي... فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يقول**

(1) المصدر السّابق نفسه.

(2) المصدر السّابق نفسه.

(3) المصدر السّابق، ص 47.

(4) الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان، ص 47.

الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي، فإذا العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول الله: مجّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، يقول الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخره، قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل[1].

9. **الشّفاء**؛ لما روي عن النّبي ﷺ: **«فاتحة الكتاب شفاء من كلِّ داء»**[2].

10. **الكنز**[3]؛ لما روي في الحديث القدسيّ عن الله تعالى مخاطباً نبيّه محمّداً ﷺ: **«....وأعطيتك لك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي، فاتحة الكتاب»**[4].

---

(1) المصدر السّابق، ص 48.

(2) المصدر السّابق نفسه.

(3) أنظر: الشّيرازيّ، صدر المتألّهين، تفسير القرآن الكريم، تحقيق محمد شمس الدّين، ط2، بيروت، دار التّعارف، 1998م، ج1، ص 5.

(4) الصّدوق، محمّد، علل الشّرائع، تحقيق محمّد صادق بحر العلوم، (لا،ط)، النّجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، 1966م، ج1، ص 128.

11. **الفاتحة**، وهو الاسم الأشهر لها، وفي سبب هذه التّسمية وجوه:

1.11. لافتتاح المصاحف بكتابتها[1].

2.11. لافتتاح الصّلاة بها بعد تكبيرة الإحرام، فهي فاتحة لما يتلوها[2].

3.11. لأنّ المراد كونها فاتحة للعقول والقلوب، وهو المعنى القرآنيّ للفتح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3]؛ فإنّ المعنى الّذي يناسب سياق هذه الآية، لا سيّما ما يتعلّق بذنب النبيّ ﷺ المتقدِّم والمتأخِّر، هو أنّ الدّعاية التي روّجتها قريش حول النبيّ ﷺ وأنّه مجنون وشاعر وساحر وغير ذلك، قد أخذت مأخذها عند الكثير من النّاس، وهي ذات

(1) الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان، ج1، ص47.

(2) المصدر السّابق نفسه.

(3) سورة الفتح، الآيتان 1-2.

قابليّة لبقائها في المستقبل، وهذا هو المراد من ذنب النبيّ ﷺ المتقدِّم والمتأخِّر، وجاء نصر الله تعالى ليفتح عقول النّاس وقلوبهم، وبالتالي ليغفر ما كان بالنسبة إليهم ذنباً في الماضي والمستقبل[1].

وعليه، يكون معنى الفاتحة أنّها فاتحة للعقول والقلوب بما تتضمّنه من معارف، وحَوَتْهُ من قيم، واشتملته من سلوك.

الفاتحة وهيبة التفسير

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: **«لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب»**[2]. وعن ابن عبّاس قال: **«كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يشرح لنا نقطة الباء من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ليلة، فانفلق عمود الصبح، وهو بعد لم يفرغ»**[3].

---

(1) انظر: بركات، اكرم، برقية الحسين عليه السلام، ط3، بيروت، بيت السّراج، 2012م، ص 12-23.

(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج 40،

(3) البروجرديّ، حسين، تفسير الصّراط المستقيم، تحقيق غلام البروجرديّ، ط1، قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، 1419هـ ج2، ص 200.

وهذا الحديث تحمل صحّته على أنّ تنقيط الحروف كان بعضٌ منه موجوداً في زمن الإمام عليّ عليه السلام، ولم يتأخّر جمعه عن عهده عليه السلام بعدّة عقود من الزمن كما ذكر بعض المؤرّخين[1].

أمام ما تقدّم، يتهيّب العلماء من مقاربة تفسير القرآن الكريم، لا سيّما سورة الفاتحة، لا سيّما، كما ذكر الإمام الخمينيّ قدس سره، أنّ **«أيدينا ليست مطلقة العنان في هذا المضمار، والباب ليس مفتوحاً على مصراعيه لكي يعمد الإنسان إلى تحميل كلّ ما يصله عقله على القرآن، فيقول: هذا ما يقوله القرآن»**[2].

وفي السّياق ذاته قال الإمام الخمينيّ قدس سره في مقدّمة بحوثه التفسيريّة التي ألقاها من على شاشة التّلفاز: **«لا أدّعي أنّ ما أقوله هو المراد والمقصود فيها، فما أقوله هو**

(1) انظر: مرتضى، جعفر، ط1، بيروت، دار السيرة، 1417هـ، ص15.
(2) الخمينيّ، روح الله، تفسير سورة الحمد، تحقيق أحمد أصولي، ط1، بيروت، دار الولاء، 2010م، ص 42.

على نحو الاحتمال لا الجزم، ولن أقول بأنّ المراد هو هذا لا غير»[1].

فإذا كان الإمام الخمينيّ قدّس سرّه يقول هذا، فما هو حال مثلي!

المشهد العامّ للفاتحة

تختصر سورة الفاتحة ثلاثة مطالب تشكّل محور الحياة هي:

1. التوحيد، 2. المعاد، 3. المطلوب بينهما.

فنصفها الأوّل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[2] هو استحضارٌ للمبدأ والمعاد من خلال استحضار اسم الله عزّ وجلّ وصفاته التي يبدأ كلّ شيء بها، وتنبثق كلّ النّعم منها، وتنتهي كلّ الأعمال إليها.

والنّصف الثّاني فيه بيان هدف الإنسان والمطلوب منه

(1) المرجع السّابق، ص 43.

(2) سورة الفاتحة، الآيات 1-4.

في هذه الحياة الواقعة بين المبدأ والمعاد، ويتمثّل هذا الهدف بتعبيد طريق التّوحيد، وعبوره من دون استعانة بأحد غير الله تعالى، مع التّنبيه إلى أنّ نجاح هذا العبور يتوقّف على المواكبة الإلهيّة للعابد المستعين السّالك بدءًا من الإرشاد إلى الطّريق الموصلة وتمييزها عن سائر الطّرق، استمراراً بمواكبة وهداية خاصّة والأخذ بيد السّالك وجذبه بوساطة هداة الطّريق ليكون معهم، لا مع غيرهم من الّذين غضب الله عليهم فسقطوا، أو ضلّوا الطّريق فلم يصلوا.

وفي هذا المشهد العامّ ورد عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدّم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«قال الله عزّ وجلّ: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله عزّ وجلّ: بدأ عبدي باسمي، وحقّ عليّ أن أتمّم له أموره، وأبارك له في أحواله»**[1].

فلنبدأ في تفسير ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

---

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج89، ص 226.

2

بِسمِ ٱللَّهِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾: **المعنى بعينٍ مجرّدة**

- **الباء**: حرف جرّ، ومتعلّق الجار والمجرور هو أحد أمرين:

1. ابتدئ ونحوها كـ اقرأ، أو أستعين، أو ابتدأت أو قرأت أو استعنت، فيكون المعنى: ابتدئ أو اقرأ...باسم الله، وهذا هو المشهور وإمّا الواقع بعد البسملة، فيكون المعنى: الحمد لله باسم الله، وسيأتي توضيحه.
2. الحمد وهو مطلع الآية الثّانية بعد آية البسملة، فيكون المعنى الحمد لله...باسم الله، أي نحمده باسمه.

- **اسم:** وهو مشتقّ إمّا:

1. من السّمة بمعنى العلامة، ومنه تسمية الأشياء بأسماء هي علامات دالّة عليها.
2. أو من السموّ، بمعنى الرفعة، ومنه سمّيت السماء لرفعتها.

- **الله**: علم للذّات الإلهيّة، وهو ليس مصطلحاً إسلاميّاً أحدثه الإسلام، بل كان معروفاً قبل الدّين الحنيف، ففي الشّعر الجاهليّ قال لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل   وكلّ نعيم لا محالةَ زائل

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1].

وجواب المشركين بـ «**الله**» باعتبار أنّهم كانوا يؤمنون بأنّ الله هو الخالق، ولكنّهم كانوا يشركون في الرّبوبيّة كما سيأتي توضيحه.

وما يرشد إلى كون «**الله**»، علماً للذّات الإلهيّة، لا صفة له:

اشتقاق لفظ «الله»

يوجد خلاف في كون لفظ الله جامداً أو مشتقّاً من لفظٍ آخر، ومن قالوا باشتقاقه طرحوا احتمالات عديدة منها:

1. من أَله أي عبد، فالله هو المعبود، وفي هذا الإطار

(1) سورة العنكبوت، الآية 61.

يقال: إنّ أصل اللفظ هو الإله حذفت منه الهمزة فصار «الله».

2. من أله بمعنى تحيّر، فالله هو الذي تحيّر فيه المتحيّرون.

قال الشّاعر:

فيك يا أعجوبة الكون غــــدا الـفـكـر كليلا
أنت حيّرت ذوي اللبّ وبـلـبـلـــت الـعـقـولا
كلّما أقدم فكري فيك شـــبـــراً فـــرَّ مـيـلا

3. من «لاه» بمعنى الاحتجاب؛ والارتفاع؛ لأنّه تعالى محتجب عن خلقه بذاته، فلا تدركه الأبصار، ولا تصل إلى كنهه الأفكار.

4. من «لاه» بمعنى الارتفاع، وذلك لأنّه تعالى المرتفع حقيقة الارتفاع التي لا يشوبها أيُّ انخفاض.

5. من ضمير الغائب (هـ)، وذلك لأنّه ليس ظاهراً، ثمّ زيدت لام الملك لأنّه مالك الأشياء، فصار (له) ثمّ زيدت فيه الألف واللام تعظيماً وتفخيماً[1].

---

(1) أنظر: الخمينيّ، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، تحقيق ونشر مؤسّسة تنظيم، ط1، إيران، 1418هـ ج1، ص 76.

قداسة «الله»

إنّ لفظ «الله» في الشّريعة الإسلاميّة له قداسة خاصة تعرف من خلال الحكم بحرمة مسِّ هذا اللفظ من دون طهارة، وكذا من عدم جواز وضع الورقة التي كُتب عليها في موضع ينافي الاحترام.

باسم الله: درس في الشّكل والمضمون

ورد في الحديث النبويّ الشّريف: **«كلّ أمر ذي بال لم يذكر فيه باسم الله، فهو أبتر»**[1]، وفي حديث نبويّ آخر: **«كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر»**[2].

إنّ للبدء باسم الله دروساً وعبر منها:

أ- أن يكون اسم الله العنوان الأوّل المقدّم على كلّ العناوين

اعتاد النّاس على وضع أسماء لأمـور عديدة في حياتهم كالأولاد والمدارس والشّوارع والجمعيّات...الخ.

---

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج73، ص 305.

(2) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج1، ص 16.

ولهم في ذلك دواعٍ عديدةٌ كتخليد اسمٍ أو تبرُّك به أو ما شابه، فيسمّى ذلك باسم نبيّ أو إمام أو زعيم، أو عالم أو شهيد أو شاعر، ويسمّي الأب ولده محمّداً، وتُسمّى الجامعة جامعة الإمام الصّادق عليه السلام، والمطار مطار الإمام الخمينيّ قدس سره، والشّارع شارع الشّهيد هادي نصر الله الخ، وتحسُن هذه التسميات حينما تكون أسماؤها ودلالتها محبّبة عند الله عزّ وجلّ، ويقصد فيها وجه الله تعالى، إلاّ أنّ الحديثين الشّريفين السابقين يشيران، من ناحية الشكل، أن يكون البدء بأيِّ عمل مهمّ، بل بأيِّ عمل مطلقاً باسم الله فإن كانت التسمية بالأسماء المحبّبة لأجل الخلود؛ فإنّ الخلود الحقيقيّ هو لله عزّ وجلّ.

من هنا ورد الحثّ على أن يبتدئ الإنسان في أيّ عمل يقوم به باسم الله، وهذا ما يتّضح من خلال الأحاديث الآتية:

1. عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: **«فقولوا عند افتتاح كلِّ صغير أو عظيم: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»**[1].

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج89، ص 223.

2. عن الإمام الباقر عليه السلام: **«لا تدعها [أي البسملة] ولو كان بعده شِعر»**[1].

3. عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجود كتابك»**[2]، ولعلّ المراد منه حسن موضعه، وهو الصدر.

4. عن عبد الله بن يحيى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه كرسيّ فأمره بالجلوس عليه فجلس عليه فمال به حتى سقط على رأسه، فأوضح عن عظم رأسه وسال الدّم، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بماء فغسل عنه ذلك الدّم ثمّ قال عليه السلام: **ادن منّي،** فوضع يده على موضحته - وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه - ومسح يده عليها وتفل فيها، فما هو أن فعل ذلك حتى اندمل، فصار كأنّه لم

---

(1) الفيض الكاشانيّ، محسن، التّفسير الصّافي، ط2، قم، مؤسّسة الهادي عليه السلام، 1416هـ ج1، ص 83.

(2) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج2، ص 672.

يصبه شيء قطّ، ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: **يا عبد الله، الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنهم لتسلم لهم طاعاتهم، ويستحقوا عليها ثوابها،** فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، قد أفدتني وعلّمتني، فإن أردت أن تعرّفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله، قال عليه السلام: **تركك حين جلست أن تقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فجعل الله ذلك لسهوك عما نُدبت إليه تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدّثني عن الله جلّ وعزّ أنّه قال: كلّ أمر ذي بال لم يذكر فيه (بسم الله) فهو أبتر،** فقلت: بلى بأبي أنت وأمي لا أتركها بعدها، قال: **إذاً تحظى بذلك وتسعد**»[1].

5. عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**ولربّما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا (بسم الله الرحمن الرحيم)، فيمتحنه الله**

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج73، ص 305.

بمكروه وينبّهه على شكر الله تعالى والثّناء عليه، ويمحو فيه عنه وصمة تقصيره عند تركه قول (بسم الله)»[1].

ب- أن يكون الله هو المقصود في كلّ عمل

إنّ معنى أبتر في الحديثين السّابقين هو أقطع، فكلّ أمر لا يبدأ فيه بسم الله هو منقطع الآخر أي لا يبقى في آخرة الإنسان، بل حكمه الذهاب والفناء، لذا يقول الله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[2].

فإنّ العمل الذي لا يكون لله عزّ وجلّ، فإنّ مصيره، استحقاقاً، هو الفناء، وهذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[3]، فتفسير وجه الله تعالى بالله بعيد، إذ لا يضاف الشيء إلى نفسه عادة، لذا فالأقرب في المقصود هو أنَّ ما يبقى من أعمال الإنسان هو ما يقوم به لوجه الله عزّ وجلّ.

---

(1) المصدر السّابق نفسه.

(2) سورة الفرقان، الآية 23.

(3) سورة الرحمن، الآية 27.

(بِسۡمِ ٱللَّهِ) المعنى بمجهر الولاية

إن كان المعنى النهائيّ لـ«**بسم الله**» هو ما تقدّم، فكيف نفهم ما روي عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**ظهرت الموجودات من باء** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»[1]، وكيف نفهم أنّ أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بقي يشرح لأصحابه معنى نقطة الباء من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ.

والجواب أنّه يمكن مقاربة بعض العمق في ما تقدّم من خلال العنوانين الآتيين:

1. ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في مدرج النّزول

يظهر من الحديث الأسبق عن الإمام عليّ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حول ظهور الموجودات من الباء أنّ ذلك إشارة إلى كون الباء في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ تدلّ على الواسطة في فيض الله تعالى الوجود على العالم، وهو ما يوافق نظريّة فلسفيّة اعتقد

---

(1) البروجرديّ، حسين، تفسير الصّراط المستقيم، ج3، ص 117.

بها بعض الفلاسفة غير المسلمين، كما العديد من الفلاسفة المسلمين.

وتنطلق هذه النظريّة من ما نبيِّنه في البيانين الآتيين:

البيان الأوّل: لزوم السنخيّة بين العلّة والمعلول، فالمعلوم لا بدّ أن يتسانخ ويتجانس مع العلّة، فالحديد لا يكون علّة للحرير، والحجر لا يكون علّة للعسل، لعدم التسانخ والتجانس بينهما.

بناءً على ذلك، فإنّ هذا العالَم كثير، والله عزّ وجلّ واحد من جميع الجهات، والوحدة والكثرة ليس بينهما سنخيّة، وعليه يستحيل أن يصدر الكثير بما هو كثير من الواحد بما هو واحد.

لذا فيفسَّر ظهور هذا الكثير، بخلق الله تعالى واحداً يكون فيه الكمالات التي يمكن أن يتحمّلها، فتنبسط عليه هذه الكمالات، لذا يسمّى هذا الواحد بالوجود المُنبسِط. وهذا الواحد الذي خلقه الله عزّ وجلّ يعقل نفسه،

ويعقل الله تعالى، فيكون واحداً لكن فيه جهة كثرة. وقد سمّاه البعض لأجل هذا بالعقل، ولأنّ هذا العقل ليس فيه كثرة واسعة بحيث يمكن أن يصدر من خلالها هذا العالم الكثير، خلق الله عزّ وجلّ بوساطته خلقاً ثانياً سمّاه بعض الفلاسفة بالعقل الثّاني، مقابل المخلوق الأوّل الذي أطلقوا عليه العقل الأوّل.

وهكذا يتمّ خلقٌ من خلق حتى يمكن للكثير أن يصدر من خلال المخلوق الواقع في سلسلة تلك العقول. وقد طرح هذه النظريّة الفيلسوف الاسكندرانيّ أفلوطين الذي عاش في القرن الثّالث الميلاديّ.

البيان الثاني: إنّ هذا العالم المادّي الكثير لا يتحمّل كونه الخلق الأوّل من الله تعالى الكامل المطلق، وإنّ حاله حال ما لو أردنا أن نضيء مصباحاً كهربائياً صغيراً يوصله بسلك التوتّر العالي مباشرةً؛ فإنّ المصباح لا يتحمّل تلك الطاقة. وهكذا حال العالم المادّي، فإنّه لا يتحمّل لضعفه

أن يكون هو الخلق الأوّل، لذا لا بدّ أن يكون هناك توسّط لخلقه، وما يتوسّط يسمّى بالواسطة في الفيض[1].

الواسطة في الفيض بلسان الرّوايات

إنّ ما تقدّم في النّظريّة الفلسفيّة يقارب بعض النّصوص الواردة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، والتي منها:

- ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أول ما خلق الله تعالى نوري...»**[2].

- عن جابر بن عبد الله: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوّل شيء خلقه الله تعالى، ما هو؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«نور نبيّك يا جابر، خلقه الله، ثمّ خلق منه كلّ خير»**[3].

- ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: **«...ألا وإنّي وأهل بيتي كنّا نوراً نسعى بين يدي الله قبل أن يخلق آدم...»**[4].

---

(1) أنظر: بركات، أكرم، يسألونك عن الأئمّة، ط3، بيت السّراج، بيروت، 2016م، ص 84-86.

(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج1، ص 97.

(3) المصدر السّابق، ج15، ص 24.

(4) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج 22، ص 148.

- ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحد، تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة، فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النّور محمّداً...»**[1].

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورّت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورّت منه الأنوار، وهو النّور الذي منه محمّداً وعليّاً»**[2].

ومن الواضح أنّ المراد من الوجود المحمّديّ ليس الجسديّ منه، بل هو وجود مجرّد سمّي بالحقيقة المحمّديّة.

الموقع العقديّ للنّظريّة والرّوايات

لم يسلّم العديد من علماء الكلام والعقيدة بالنّظريّة الفلسفيّة المتقدّمة، وإن اعتقد جملة منهم بالرّوايات التي لم يُسلِّم الجميع بمضمونها السّابق المقارب للنّظريّة

---

(1) المصدر السّابق، ج53، ص 46.

(2) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج1، ص 442.

الفلسفيّة، لذا رغم تصريح علماء كبار من الشّيعة بالاعتقاد بالواسطة في الفيض، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يصل إلى حدِّ الضّرورة المذهبيّة، فضلاً عن الضرورة الدينيّة. فبقيت هذه المسألة ضمن الدائرة الخضراء المفتوحة للاجتهاد.

لكن رغم ذلك فإنّ ما تقدّم من شرح هذه النّظريّة يتواءم مع الحديث النّبويّ السّابق **«ظهرت الموجودات من باء ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»**[1]، وتتعزّز هذه المواءمة من كون معنى **«اسم»** علامة فـ **«اسم الله»** يعني علامة الله، وذلك لعدم استطاعة المخلوق ادراك حقيقة الله وكنهه، لذا يكون التعلّق بالعلامة الدالّة عليه عزّ وجلّ انطلاقاً من هذا التفسير، وبما أنّ كلّ شيء هو علامة على وجود الله كما قال الشّاعر: وفي كلّ شيء له آيةٌ تدلّ على أنّه واحد

يصحّ اطلاق اسم الله على أيّ موجود، فكلّ الأشياء علامات على الله عزّ وجلّ، وإن كانت هذه الأشياء تختلف في كمالها، فبعضها كمالها تكوينيّ جبريّ كالجبال

(1) البروجرديّ، حسين، تفسير الصّراط المستقيم، ج3، ص 117.

والكواكب، وبعضها يتحقّق كمالها باختيارها، وهي ما تكون أقرب، من هذه النّاحية، على كونها أسماء لله، فكلّما زاد كمال المختار كلمّا صحّ اطلاق اسم الله عليه بشكل أولى.

بناءً على ما تقدّم نفهم القَسَم الإلهيّ المتعدّد والمتفرّع في القرآن الكريم من قبيل ﴿وَٱلۡعَصۡرِ...﴾[1]، ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾[2]، ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾[3]، فهذه كلّها من أسماء الله عزّ وجلّ والقَسَم بها لكونها علامات على الله تعالى.

وعليه فلا مبالغة في القَسَم بكائنات هذا الكون باعتبارها أسماء وعلامات على الله تعالى. وقد لاحظنا هذا الأمر في خطاب الإمام السيّد موسى الصدر في مهرجان صور حينما قال: **«نقسم بجمال لبنان وجباله،**

(1) سورة العصر، الآية 1.

(2) سورة الفجر، الآيتان 1-2.

(3) سورة التين، الآيات 1-3.

بجنوبه وشرقه وشماله، بشمسه لدى الغروب في البحر، وبإشراقتها المطلّة من الجبل...»[1].

وإن كانت الأشياء الواقعة في إطار الجبر والتّكوين غير الخارجة عنه يطلق عليها أنّها أسماء لله عزّ وجلّ بمعنى أنّها علامات دالّة عليه، فمن الواضح أنّ الإنسان المنجذِب إلى الله تعالى باختيار يكون علامة واسماً لله تعالى بشكل أولى، وكلّما زادت مرتبة الإنسان في عبادته لله وانجذابه إليه كلّما كان اسماً لله بشكلٍ آكد.

من هنا نفهم أنّ أنبياء الله هم أسماء الله وأنّ أفضل اسم من أسماء الله هو خاتم الأنبياء محمّد ﷺ، وكذلك الأوصياء والأولياء، فإنّهم لقربهم من الله عزّ وجلّ يشكّلون أسماءً لله تعالى، ومن خلال هذا الأمر نقارب جواب الله عزّ وجلّ للملائكة حينما أخبرهم بمشروع الإنسان، فسألوا سؤالهم المعروف: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

(1) موقع سماحة الإمام السيِّد موسى الصدر أعاده الله، imamsadr.net.

فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1]، فمن الواضح أنّهم كانوا يستشرفون التسافل الاجتماعيّ في المجتمع الإنسانيّ، فأراد الله عزّ وجلّ أن يخبرهم بأنّهم اقتصروا في نظرتهم على المشهد الأسود من مستقبل البشريّة، ولم ينظروا إلى صفوة البشر من أنبياء وأوصياء وأولياء، فأراد أن يطلعهم عليهم ليعرفوا من خلالهم جمال المشهد، وأنّ هؤلاء سيقودون المجتمع البشريّ نحو التّكامل، فـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2].

فهذه الأسماء كما ورد في عدّة أحاديث، هم الأنبياء والأوصياء وحجج الله فهم أسماء الله تعالى.

2. ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ **في مصعد المعراج**

إنّ حديث **«ظهرت الموجودات من باء ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»**[3] أدخلنا في البحث حول مدرج النّزول، إلّا أنّ

---

(1) سورة البقرة، الآية 30.

(2) سورة البقرة، الآية 31.

(3) البروجرديّ، حسين، تفسير الصّراط المستقيم، ج3، ص 117.

هذه الآية مطلوب ذكرها من الإنسان المتوجِّه بها إلى الله عزّ وجلّ، من هنا جاء تقدير المفسّرين للعامل في «بسم الله» بأنّه أبتدئ أو أقرأ أو أستعين ونحو ذلك، فبـ «بسم الله...» يحصل الارتقاء، وبها يعرج المؤمن، ويصعد روحيّاً نحو الله تعالى، بل إنّ الأحاديث الشّريفة أرشدت إلى أنّ «بسم الله...» هي ذكر التوسّل لله عزّ وجلّ من أجل سعادة الدنيا والآخرة، ففي الحديث الشّريف أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قرأ على طعام: «...بسم الله الشّافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء، ولا داء في الأرض ولا في السّماء، وهو السّميع العليم».

ويستوقفنا هنا حديث أمير المؤمنين عليه السلام المتقدّم: «إنّ كلّ ما في القرآن في الفاتحة، وكلّ ما في الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم، وكلّ ما فيه في الباء في النقطة...»[1]، والذي علّق عليه الإمام الخمينيّ قدّس سرّه بقوله: «إنّ فاتحة

(1) الخمينيّ، روح الله، شرح دعاء السّحر، ط1، طهران، نشر آثار الإمام الخمينيّ، 1416هـ، ص 88.

الكتاب مشتملة على جميع سلسلة الوجود وقوسي النّزول والصّعود (إلى أن قال)...وهذه الإحاطة والإطلاق لم تكن إلاّ في فاتحة فاتحة الكتاب الإلهيّ التي بها فتح الوجود، وارتبط العابد بالمعبود»[1].

إنّ هاتين الجملتين الأخيرتين تدلّان على استفادتين من فاتحة الفاتحة أي ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، الأولى تتعلّق بمدرج النّزول أو قوسه، وهو ما تقدّم الحديث عنه، والثانية تتعلّق بمصعد المعراج أو قوس الصعود، أي بارتباط العابد بالمعبود.

وهذا الارتباط بالنّسبة للإنسان على نحوين: جبريّ واختياريّ، وقد تقدّمت الإشارة إليه إجمالاً.

أمّا الجبريّ القهريّ فإنّ الإنسان كسائر المخلوقات كما ارتبط بالله تعالى في أصل وجوده، فإنّه يرتبط به في استمرار هذا الوجود، فإنّ علاقة الموجودات بالله عزّ وجلّ ليست كعلاقة البِنَاء مع البنَّاء، بحيث يموت البنّاء

(1) المرجع السّابق، ص 103.

ويبقى البِنَاء موجوداً؛ وذلك لأنّ البنّاء لم يخلق البِنَاء من عدم، وإنّما شكّله وصمّمه من مادّة سابقة ليس له دخل بإيجادها، بينما علاقة المخلوقات بالله هي بنحو علاقةٍ تشبه علاقة أشعّة الشّمس بالشّمس؛ إذ لا وجود ولا استمرار للأشعّة من دون شمس. وكذا تشبه علاقة الصّورة في المرآة بصاحب الصّورة الواقف أمامها، فإنّ الصّورة ترتبط بصاحبها في أصل وجودها، وفي استمرارها.

من هنا، فإنّ الإنسان بأصل وجوده وفي استمراره في الوجود يحتاج تكويناً إلى الله عزّ وجلّ.

أمّا ارتباط الإنسان الاختياريّ بالله تعالى، وهو ما قصده الإمام الخمينيّ قدس سره بقوله السّابق **«بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ارتبط العابد بالمعبود»**.

فلأنّ كلّ ما سوى الله عزّ وجلّ لا شيء بنفسه، إذ وجوده واستمراره بالله تعالى، فإنّ العبادة لا تصحّ إلاّ لله عزّ وجلّ، وإنّ التوجّه إلى أيّ شيء بعنوان مستقلّ هو ضلال ووهم وجهل أو عناد.

وعليه فإنّ دعوة الله عزّ وجلّ إلى اتخاذ الوسيلة في عبادته بقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1]. يقع في إطار أنّ هذه الوسيلة قد ذابت اختياراً بالله تعالى بحيث لا ترى ذاتها إلاّ بالله وفي الله، فأَمْرُ الله تعالى بابتغائها واتخاذها وسيلة هو أمرٌ بالتوجّه الخالص لله عزّ وجلّ من خلال جاذب يجذب من معه نحو الله تعالى وهذا ما ينتفع به الإنسان لا سيّما حينما يرى الإنسان في نفسه تقصيراً قد يمنعه من ذلك العروج، لذا أرشد الله تعالى إلى هذه الوسيلة، وقال في كتابه العزيز: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[2]، كما ذكر لنا قصّة أبناء النبيّ يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حينما جاؤوه قائلين: ﴿... يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

---

(1) سورة المائدة، الآية 35.

(2) سورة النّساء، الآية 64.

(3) سورة يوسف، الآيتان 97-98.

وما تقدّم من كون الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام والأولياء عليهم السلام هم أسماء الله عزّ وجلّ وعلامات دالّة عليه، بسبب قربهم من الله وانجذابهم إليه وفنائهم فيه يقرِّب كونهم الوسيلة إلى الله تعالى.

3 الرَّحمن الرَّحيم

كلٌّ من صفتي الرّحمن والرّحيم مشتقّ من الرّحمة بحسب اللّغة والتّبادر.

معنى الرحمة

ذكر أهل اللغة معاني كثيرة للرّحمة منها الرّقة، الرّفق، الرّأفة، حرقة القلب، إلاّ أنّ الملاحظ أنّ ذكر هذه المعاني هو بملاحظة حال الإنسان وما يحصل له من انفعال نفسانيّ بسبب اطّلاعه على نقص أو عجز أو ضعف في غيره، فيرقّ قلبه حينما يرى طفلاً يعاني المرض، أو انساناً عالقاً تحت الأنقاض، أو أمّاً تبحث في النّفايات عن بقايا طعام لأطفالها.

وهنا لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الألفاظ المنسوبة إلى الله تعالى يجب أن تجرّد من كلّ ما يدلّ على نقص؛ لتكون مناسبةً للانتساب إلى الكمال المطلق، لذا فإنّ الرّحمة المنسوبة إلى الله تعالى لا يمكن أن يكون معناها ما

تقدّم من انفعالٍ نفسانيّ لا يتواءم مع الذّات الإلهيّة المقدّسة، وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام إلى ما تقدّم بقوله، واصفاً الله تعالى: «**رحيم لا يوصف بالرّقة**»[1].

معنى الرّحمن والرّحيم

الرّحمن: صيغة فعلان، وهي تدلّ على وجود الصّفة في موصوفها على النحو التّام والكامل الممتلئ، فـ«**غضبان**» أي الممتلئ غضباً، و«**عطشان**» أي الممتلئ عطشاً، وعليه فإنّ «**رحمن**» أي ممتلئ رحمة.

وهناك معنى إضافيّ تدلّ عليه فعلان، وهو إمكانيّة زوال هذه الصّفة وعدم ثباتها الدّائم، فالعطش قد يزول من العطشان، والغضب من الغضبان، وهكذا، فإنّ صفة الرحمن قد لا تثبت فيمن تعلّقت به هذه الرحمة.

بناءً على ما تقدّم فسّر العديد من العلماء صفة الرحمن لله عزّ وجلّ بأنّ المراد منها كون الله عزّ وجلّ

(1) ابن أبي طالب، الإمام عليّ عليه السلام، نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، ط1، قم، دار النهضة، 1412هـ، ج2، ص 100.

واسع الرحمة بجميع خلقه، في الدّنيا؛ فهو يرحم فيها المؤمن والكافر، أمّا في الآخرة فقد تزول هذه الرّحمة.

رحيم: صيغة فعيل، وهي تدلّ على تماميّة الصّفة لموصفها على نحو الثّبات، فـ حكيم تدلّ على ثبات الحكمة، وجميل على ثبات الجمال، وقبيح على ثبات القبح، وقديم على ثبات القدم، وهكذا فإنّ رحيم تدلّ على ثبات الرّحمة، وبناءً عليه فسّر العديد من العلماء صفة **«الرّحيم»** لله عزّ وجلّ بأنّها خاصّة بالمؤمنين، ثابتة لهم، بخلاف صفة الرّحمن التي هي عامّة، وقد لا تبقى.

وما تقدّم من تفسير للرحمن والرّحيم يتناسب مع ما ذكره القرآن الكريم من نوعين لرحمة الله تعالى:

الأوّل: الرّحمة الشّاملة، كقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾[1]، ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ﴾[2]، **«وبرحمتك التي وسعت كلّ شيء»**[3].

(1) سورة الأعراف، الآية 156.

(2) سورة غافر، الآية 7.

(3) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج4، ص 72.

الثّاني: الرّحمة الخاصّة، كقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾[1]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

وقد أشارت الرّوايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلى تفسير **«الرّحمن الرّحيم»** بما يتواءم مع التّفسير اللغويّ المتقدّم، فعن الإمام الصّادق عليه السلام: **«...الرّحمن بجميع خلقه والرّحيم بالمؤمنين خاصّة»**[3].

وفي الدّعاء: **«يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة»**[4].

الرحم من الرحمن

من لطيف ما ورد حول صفة الرّحمن (العامّة) قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه عن الله عزّ وجلّ لمّا خلق الرّحم

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 21.

(2) سورة الأعراف، الآية 56.

(3) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج1، ص 114.

(4) الشّيرازيّ، صدر المتألّهين، أسرار الآيات، تصحيح محمد خوا جوى، (لا،ط)، إيران، أنجمي اسلاميّ، 1402هـ، ص 43.

أنّه قال: «أنا الرّحمن وأنت الرّحم، شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته»[1].

هل الرّحمن صفة خاصّة بالله؟

اعتبر بعض المفسّرين أنّ كلمة الرّحمن صفة خاصّة بالله تعالى لا يجوز إطلاقها على غيره، وقد ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام: «الرّحمن اسم خاصّ بصفة عامّة، والرّحيم اسم عامّ بصفة خاصّة»[2].

في حين اعتبر البعض أنّه لا دليل ثابت على اختصاص اسم الرحمن بالله، نعم يرجِّح بعض هؤلاء المجوِّزين أنّ الرحمن إذا أطلقت على الله عزّ وجلّ تكتب بلا ألف، وإذا أطلقت على غير الله تعالى تُكتب مع ألف كـ«رحمان اليمامة»[3].

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج23، ص 265.
(2) الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان، ج1، ص 54.
(3) أنظر: الخمينيّ، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ج1، ص 206، ص 223.

درسٌ من «الرّحمن الرّحيم»

أكّد الإسلام في توجيهاته أنّ على المسلم أن يرجو الله، لكن ليس الرّجاء الذي يأمن به من عقابه وعذابه تعالى، وأن يخاف الله لكن ليس الخوف الذي ييأس به من رحمته، فالأمن من مكر الله هو من الكبائر، واليأس من رحمة الله هو من الكبائر أيضاً. قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[3].

فعلى الإنسان أن يرجو رحمة الله وفي نفس الوقت أن يخاف من عقاب الله فالله رؤوف رحيم والله شديد العقاب.

(1) سورة الزّمر، الآية 53.

(2) سورة يوسف، الآية 87.

(3) سورة الحجر، الآية 56.

وقد ظهر هذا التّوازن في قوله عزّ وجلّ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[1].

وفي السّياق ذاته ورد عن الإمام الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«ما من مؤمن إلاّ وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على ذاك»**[2]. كما ورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«أرج الله رجاءً لا يجرّئك على معاصيه، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»**[3].

وفي وصيّة لقمان لولده: **«خف الله عزّ وجل خيفة لو جئته ببرّ الثّقلين لعذّبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثّقلين لرحمك»**[4].

وهذا التّوازن يجعل الإنسان معتدلاً، وهو ما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«خير الأعمال اعتدال الرّجاء والخوف»**[5].

---

(1) سورة الحجر، الآيتان 49-50.

(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج75، ص 260.

(3) المصدر السّابق، ج 67، ص 384.

(4) المصدر السّابق، ص 352.

(5) الواسطيّ، عليّ، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، ط1، (لا،م)، دار الحديث، (لا،ت)، ص 240.

بعد هذا العرض قد يتوقّع البعض أن تكون الآية التي اتّفق المسلمون على رسمها قبل كلّ سورة في المصحف الشّريف ما عدا سورة براءة، والتي نقرأها كلّ يوم في صلاتنا عدّة مرات، والتي ترافقنا في حياتنا مع بداية كلّ عمل متضمِّنة وصفين لهذا التّوازن بين الخوف والرّجاء، كأن تكون **«بسم الله الرحمن الغضبان»** أو **«بسم الله المعذِّب الرّحيم»**، لكنّ الله تعالى لم تكن صياغته للآية على أساس هذا التّوازن بين الرّحمة والعذاب، بل كانت صياغته بسم الله الرّحمن الرّحيم.

إنّه درس كبير بأن تكون الرّحمة هي العنوان، كما البسملة هي العنوان، فالرّحمة غاية إرسال خاتم الرّسل كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وهنا لا بدّ من الإلفات إلى أمر تربويّ قد يخطئ فيه بعض النّاس حينما يقصرون تربيتهم للأولاد على التخويف

(1) سورة الأنبياء، الآية 107.

من الله تعالى، فيقول الأب لولده: **«إذا فعلت هذا فإنّ الله يعذّبك وإنّ الله يحرقك بالنّار»**، فينشأ بذلك الأولاد على تصوّر الله في دائرة العذاب، في حين يؤكّد الله عزّ وجلّ في الآية التي تكرّر ذكرها في المصحف الشّريف 114 مرّة على أنّه الرّحمن الرّحيم.

هذا فضلاً عن النّصوص الكثيرة الواردة في رحمة الله عزّ وجلّ كالحديث الشّريف: **«إنّ لله تعالى مئة رحمة، أنزل منها واحدة إلى الأرض، فقسمها بين خلقه، فيها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة»**[1].

وقد وجّه الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ درس الرّحمة هذا بقوله: **«اجعل نظرتك إلى جميع الموجودات، وخصوصاً البشر نظرة رحمة ومحبّة، أليست الموجودات كافّة، والّتي لا حصر لها واقعةً تحت رحمة خالق العالمين من جهات عديدة، ثمّ أليس وجودها وحياتها وجميع بركاتها وآثارها**

(1) الخمينيّ، روح الله، شرح دعاء السّحر، ص 47.

من رحمة ومواهب الله على الموجودات، وقد قيل: «كلّ موجود مرحوم».

بعد الانتهاء من تفسير آية **«بسم الله الرّحمن الرّحيم»** كاملةً نعرض البحث الآتي:

جزئيّة البسملة في القرآن الكريم

أجمع المسلمون على كتابة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في المصحف الشريف مع بداية كلّ سورة ما عدا سورة البراءة، واختلفوا في كونها جزءًا من تلك السّور، أمّا الشّيعة فقد اتّفقوا بالإجمال على أنها جزء من جميع تلك السّور، وأنّها يجب قراءتها مع مطلع كلّ سورة منها الصّلوات التي تقرأ فيها السّور بعد الفاتحة، كما اتّفقوا على أنّها كسائر آيات سورة الفاتحة في الكتابة والقراءة والاستقلال. نعم وقع الكلام بينهم في عدّها آية مستقلة تمثِّل جزءًا خاصة كسائر الآيات في غير سورتي الفاتحة وبراءة.

أمّا أهل السُّنّة، فمنهم من قال كالشّيعة بأنّها جزء من

السّور ما عدا براءة، ومنهم من قال: إنّها جزء من سورة الفاتحة دون غيرها، ومنهم من ذهب إلى أنّها آية مستقلّة نزلت لبيان رؤوس السّور والفصل بينها لذا نلاحظ، عادةً، أنّ أهل السُّنّة لا يقرؤون البسملة في سور الصّلوات، مع ملاحظة أنّ من يقرؤها يخفت بها سرّاً، بخلاف الشّيعة الذين يستحبّ عندهم الجهر بها في الصّلاة[1]. فعن صفوان الجمال قال صلّيت خلف أبي عبد الله [أي الإمام الصّادق عليه السلام] أيّاماً، فكان إذا كانت صلاة لا يجهر فيها جهر ببسم الله الرحمن الرحيم وكان يجهر في السّورتين جميعاً»[2].

(1) أنظر: الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص 199.

(2) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشّيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط2، قم، 1414هـ، ج6، ص 74.

4 ٱلحَمدُ لِلَّهِ

إنّ حمد الله معنىً يحيا معه المصلّي في كلّ ركعات الصّلاة بدءً من الفاتحة، واستمراراً بذكره أثناء الرّكوع: **«سبحان ربي العظيم وبحمده»**، ثمّ بذكره بعد رفع رأسه منه: **«سمع الله لمن حمده»**، ثمّ بذكره أثناء السّجود: **«سبحان ربي الأعلى وبحمده»**، ثمّ بذكره أثناء القيام في الرّكعتين الأخيرتين: **«سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، الله أكبر»**.

والحمد لله ذكرٌ يحبّه الله عند كلّ نعمة، بل كلّ بلاء، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: **«نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه»**[1].

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ذكرٌ يوجب عند الله ثواباً عظيماً، ففي الحديث القدسيّ: **«إذا قال (العبد) الحمد لله ربّ العالمين، قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي، وعلم**

---

(1) ابن أبي طالب، الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نهج البلاغة، ج1، ص 223.

أنّ النّعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي دفعت عنه فبتطوّلي، أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدّنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة، كما دفعت عنه بلايا الدّنيا»[1].

معنى الحمد

نقارب معنى الحمد من خلال مفردتين تقارباه في المعنى وهما: الشّكر والمدح.

أمّا الشّكر فإنّه يكون مقابل إحسان الغير، فحينما ينال الإنسان من غيره خيراً، فإنّ فطرته الإنسانيّة تدعوه لإظهار امتنانه لفاعل ذلك الخير.

فإن كان الإنسان بحاجة ماسّة إلى مال، فعرف أحدهم حاجته، فقدّم له المال دون مِنّة ولا مقابل، فإنّ فطرة ذلك الإنسان تنطلق به ليعبِّر له عن امتنانه له وهو ما يسمَّى شكراً. وهذا الأمر الفطريّ موجود في داخل كلّ إنسان، وإن اختلف التعبير عنه بين مجتمع وآخر، فبعضهم

(1) الصّدوق، محمّد، الأمالي، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة، ط1، قم، 1417هـ ص 239.

قد يرفع قبّعته، وبعضهم قد ينحني أمامه مطبقاً يديه، وبعضهم قد يقول له بلسانه شكراً. وعليه فالشّكر هو مقابل الإحسان.

أمّا المدح فهو الثّناء على الجميل، وقد يكون هذا الجميل احساناً من الآخر إليك، فتثني على عمله وتشكره، وقد يكون عملاً لا يمتّ إليك بصلة، لكنّه يجذبك بجماله، كما لو رأيت لوحةً فنيّة رائعة الجمال، فتثني عليها وتمدح رسّامها، وكما لو رأيت حديقة غنّاء أحسنت البلديّة ترتيبها، فتثني وتمدح عملها هذا.

والمدح كما نلاحظ يكون للعاقل كالرّسّام ولغير العاقل كالشّجرة الجميلة.

والخلاصة: إنّ المدح يكون في مقابل الجمال، والشّكر يكون في مقابل الإحسان.

أمّا الحمد، فهو مزيج من الشّكر والمدح، لكنّه يكون للعاقل، فالحامد يرى في العمل إحساناً وجمالاً يقتضي شكراً أو ثناءً.

وأهل المعرفة بالله يـرَون كلّ أفعال الله جميلة تستدعي ثناءً، واحساناً يستدعي شكراً، فهم لا ينظرون إلى الشّيء في دائرته الضيّقة التي قد تبديه أسود قاتماً، بل يرونه في دائرة الوجود ولوحته الواسعة، حينها قد يكون ذلك السّواد خالاً يزيّن الوجه جمالاً، وهم لا يرون الاعوجاج في الخطّ قبحاً، بل يرونه في لوحته الواسعة التي قد يكون الخطّ الأعوج فيها حاجباً، كما قيل:

أيّها الحاجب المعوج لو كنت جالساً لكنت أعوج

وهكذا يرى هؤلاء البلاءَ جميلاً وإحساناً في لوحة الوجود الكبرى، فهو سبب بناء القوّة كالشّجرة البريّة التي قال عنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«ألا إنّ الشّجرة البريّة أصلب عوداً، والرّوائع الخضرة أرقّ جلوداً»**[(1)].

وهو -أي البلاء- رقيٌّ في المقام، لذا كان **«أشدّ النّاس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأوصياء، ثمّ الأماثل فالأماثل»**[(2)].

---

(1) ابن أبي طالب، الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نهج البلاغة، ج3، ص 73.

(2) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج2، ص 253.

وهو صاحب العوض النّافع يوم القيامة الذي يُنْصَبُ فيه شجرة يقال لها: شجرة البلاء، **«... ثمّ يؤتى بأهل البلاء فلا يُنْصَب لهم ميزان، ولا يُنْصَب لهم ديوان، فيصبّ عليهم الأجر صبًّا حتى أنّ أهل العافية لَيتمنّون أنّ أجسادهم قُرِضَتْ بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم»**[1].

هؤلاء في لوحة الوجود الكبرى قد يدركون أنّ الفرق بين العذاب والعذب ألف لا تقرأ.

لذا حينما يُسألون عن أيّ شيء أنزله الله عزّ وجلّ يكون جوابهم تعبيراً عن الشّكر والثّناء، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾[2].

إنّه سرّ السيّدة زينب عليها السلام بنت عليّ عليه السلام التي أجابت ابن زياد حينما سألها عن فعل الله بأخيها وأهل بيته عليهم السلام في كربلاء فقالت: **«ما رأيت إلاّ جميلاً»**[3].

(1) الهيثميّ، عليّ، مجمع الزوائد، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ ج2، ص 305.

(2) سورة النّحل، الآية 30.

(3) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج45، ص 116.

خزانة الحمد لله

ورد حول ما تختزنه كلمة الحمد لله عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: **«فقد لأبي بغلة فقال عليه السلام: لئن ردّها الله عليّ لأحمدنّه بمحامد يرضاها، فما لبث أن جيء بها بسرجها ولجامها، ولمّا استوى وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السّماء فقال عليه السلام: الحمد لله، ولم يزد، ثمّ قال عليه السلام: ما تركت ولا أبقيت شيئاً جعلت جميع أنواع المحامد لله عزّ وجلّ فما من حمد إلاّ وهو داخل فيما قلت»**[1].

وكذا ورد عنه عليه السلام: **«ما أنعم الله على عبدٍ بنعمةٍ صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلاّ أدّى شكرها»**[2].

درس الحمد

إنّ لـِ **«الحمد لله»** درساً هو أن نكون دائماً جماليين ننظر إلى الحياة نظرة جمال وإلى الحوادث نظرة تفاؤل، وأن نكون دائماً في سلوكنا أمام الله مادحين شاكرين خاضعين لما يرى، لأنّ كلّ فعله جمال وإحسان.

---

(1) الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص 455.

(2) المرجع السابق نفسه.

5 رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

معنى ربّ: ذكر أهل اللغة للربّ معاني عديدة منها السيِّد والمعبود والمطاع والمالك والمصلح والمتمّم، والملاحظ أنّ كلّ ما ذكر من المعاني يرجع إلى معنى حدّده ابن فارس قدّس سرّه بـ إصلاح الشيء والقيام به[1].

ورجّح السيّد مصطفى الخمينيّ قدّس سرّه أن يكون المعنى المرجعيّ للربّ هو: **«المخرج للشيء من النقص إلى الكمال»**[2].

وكل من هاتين الصياغتين يتلاءم مع كون الرّبّ هو المربّي والمدبِّر للأمور المدير لها.

من هنا أُطلق الرّب على من يدبِّر أمور السّفينة، وأمور الدّار، وأمور الأسرة، وكذا العمل، فقيل: ربّ السّفينة، وربّ الدّار، وربّ الأسرة وربّ العمل.

---

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا،ط)، (لا،م)، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ ج2، ص 383.

(2) الخمينيّ، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ج1، ص 337.

وعليه، فالربّ ليس وصفاً مختصاً بالله عزّ وجلّ.

معنى العالمين: لفظ العالمين جمع لـ العالَم الذي هو جمع أيضاً دون أن يكون له مفرد مثل كلمة قوم.

ومعنى العالم واضح من خلال المعنى المنصرف منه إلى الذهن، لكنّ الكلام في سعة العالَم، فالبعض اعتبر أنّه يطلق على كلّ خلق الله، أي كل عالم الإمكان، سواء منه الماديّ أو المجرَّد، لذا حينما يجمع فإنّ المراد من العالمين أصناف الخلق، فكلّ نوع من المخلوقات هو عالم.

والبعض حصر العالم بمن يعقل، لذا فسّر العالمين بأنّه جمع الأصناف العاقلة، كعالم الملائكة وعالم الجنّ وعالم الإنسان.

وحصره العديد من علماء الكلام (العقيدة) العالم بالجسمانيّ منه، فلا يشمل المجرّدات[1].

---

(1) أنظر: الطريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق احمد الحسيني، ط2، طهران، مرتضوي، 1362هـ.ش، ج6، ص 120.

والذي يبدو أنّ حصر العالمين بأيّة دائرة من الخلق دون أخرى لا يتناسب مع إضافة ربّ إلى العالمين، فربّ العالمين ربّ جميع الأنواع التي خلقها الله عزّ وجلّ، فلا شيء من عالم الوجود خارج عن تدبيره وربوبيّته وإدارته.

أنواع الرّبوبيّة الإلهيّة

يمكن تقسيم الرّبوبيّة الإلهيّة إلى أنواع: الرّبوبيّة التكوينيّة، الرّبوبيّة التّشريعيّة، وربوبيّة الهداية، والأخيرة نؤجّل الحديث عنها إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[1].

1. الرّبوبيّة التكوينيّة

والمراد منها تدبير الله تعالى للعوالم بالقهر والجبر والاضطرار، دون أن يكون لها أيّة مشيئة اختياريّة.

والمتأمّل في هذه الرّبوبيّة التكوينيّة يرى عجباً في تدبير الله عزّ وجلّ وهو ما أشار إليه القرآن الكريم

(1) سورة الفاتحة، الآية 6.

في العديد من آياته كقوله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

وكذا وردت الإشارة إلى هذا التّدبير في الأحاديث الشّريفة كالخطبة الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أنظروا إلى النّملة في صغر جثّتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تُنالُ بلحاظ البصر، ولا بمستدرَك الفكر، كيف دبّت على

---

(1) سورة الحجّ، الآية 5.

(2) سورة البقرة، الآية 164.

أرضها، وصُبّت على رزقها، تنقل الحبّة إلى جُحرها، وتُعدُّها في مستقرّها، تجمع في حرّها لبردها، وفي وُرُودها لصَدَرِها، مكفولةٌ بزرقها، مرزوقة بِوِفقها[1]، لا يُغفلها المنّانُ، ولا يَحرِمها الديّان، ولو في الصّفا اليابس والحَجَر الجامس[2]. ولو فكرت في مجاري أَكْلها، في عُلْوِها وسُفْلِها، وما في الجوف من شراسيف بطنها[3]، وما في الرّأس من عينها وأذنها، لقضيت من خَلقِها عجباً، وَلَقيْتَ من وصفها تعبًا. فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يُعنه في خلقها قادر»[4].

وكذا ما ورد عن الإمام الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«تأمّل ضروب التّدبير في خلق الطائر فإنّك تجد كلّ طائر طويل السّاقين طويل العنق وذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض ولو**

---

(1) الصدر: محرَّكًا، الرّجوع، بعد الورود، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِوِفقها بكسر الواو أي بما يوافقها من الرّزق ويلائم طبعها.

(2) الجامس: الجامد.

(3) الشّراسيف: مقاطع الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

(4) ابن أبي طالب، الإمام عليّ، نهج البلاغة، ج2، ص 117.

كان طويل السّاقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربما أعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة له وإمكاناً»[1].

2. الرّبوبيّة التّشريعيّة

والمُراد منها أنّ الله عزّ وجلّ هو المشرّع وواضع القوانين التي يجب على الإنسان فرداً ومجتمعاً أن يلتزم بها.

وقد انطلقت التّشريعات الربّانيّة من تحقيق هدف التّكامل الإنسانيّ الذي يلاحظ الجسد والـرّوح والفرد والمجتمع والدّنيا والآخرة، وحيث يتعذّر على الإنسان معرفة التّشريعات التي تناسب هذه الأمور السّتّة كان الواجب من الله الحكيم أن يصدر تشريعاته التي من خلالها يتكامل مع الإنسان.

---

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج3، ص 106.

المشركون بين الألوهيّة والرّبوبيّة

الملاحظ في الكثير من المشركين أنّ شركهم لم يكن في الخالقيّة فهم اعتقدوا أنّ الله تعالى هو الخالق، لكنَّ شركهم كان في الرّبوبيّة، فكان بعضهم يؤمن بربٍّ للنّور، وربٍّ للظّلام، والبعض كان يؤمن بربٍّ للخير وربٍّ للشّرّ، وقد كان مشركو مكّة يؤمنون بالله الخالق، لكنّهم كانوا يعتقدون بأنّ الأصنام هي الأرباب، وهذا ما يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾[1]، فكان حالهم كحال من يؤمن بأنّ فلاناً باني المدرسة ومالكها، إلاّ أنّ هناك عدّة مدراء غيره مستقلّين في إدارتهم عن المالك الباني، لذا، فإنّ من يُراجَع في الحاجات المتعلّقة بالمدرسة هم المدراء وليس المالك الباني، وهكذا كان مشركو قريش يؤمنون بالله الخالق، لكنّهم كانوا يعتقدون بأنّ من يدير الكون ويدبِّر أمره هي الأصنام المنفصلون في إداراتهم عن الله تعالى، لذا

---

(1) سورة لقمان، الآية 25.

كانوا يعبدون الأصنام؛ لأنّها هي، باعتقادهم، من يقضي حاجاتهم.

وهذا الفصل بين الألوهيّة والرّبوبيّة هو خلفيّة الحوار بين فرعون ونبيّ الله موسى عليه السلام، إذ قال فرعون له عليه السلام ولأخيه هارون عليه السلام: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾[1]، ففرعون لم يسأل عن خالقهما، بل عن ربِّهما، فأجاب نبيّ الله موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]، فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في جوابه يؤكِّد أنّ الرّبّ هو الخالق، وأيضاً هو الذي يواكب ما خلقه بهدايته.

وفي هذا الإطار ذاته يؤكِّد القرآن أنّ صاحب الإدارة والسّلطة في الكون هو الله تعالى وليس الأصنام، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾[3].

فالوليّ هو القريب صاحب السّلطنة، والمشركون كانوا يعتقدون أنّ الأصنام هم الأقرب إليهم، وهم أصحاب

(1) سورة طه، الآية 49.

(2) سورة طه، الآية 50.

(3) سورة الشّورى، الآية 9.

القرار والسّلطة في إدارة الكون والإنسان.

أمام ما تقدّم أكّدت سورة الفاتحة بأنّ الله عزّ وجلّ ليس الخالق فقط، بل هو ربّ للعالمين، لا يوجد عالم له ربّ غيره، ولا يوجد ربّ سواه منفصل في تدبيره وإدارته عنه سبحانه وتعالى.

الرّبوبيّة بين المستقلّة وغير المستقلّة

إنَّ المنفي في الإدارة والتّدبير والرّبوبيّة لغير الله عزّ وجل هو تلك المنفصلة المستقلّة عنه، وهذا لا يتنافى مع كون الله تعالى وسّط مخلوقات في الإدارة والتدبير كتوسيط ملك الموت في قبض الأرواح، وجبرئيل في الوحي، وإسرائيل في نفخ الصّور، وميكائيل في الرّزق، فهؤلاء الملائكة مدبِّرون، إلاّ أنّهم غير مستقلّين عن الله تعالى في التّدبير، بل هم مجرّد واسطة بين الله وما يدبّرونه، لذا سمّى الله عزّ وجلّ بعض ملائكته المدبّرات، إذا قال عزّ وجلّ: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[1].

(1) سورة النّازعات، الآية 5.

درس الرّبوبيّة

إنّ استحضار ربوبيّة الله عزّ وجلّ درس لنا في:

1. تعظيم الله تعالى على صنعه وتدبيره المبهر في الكون والإنسان.
2. النّظرة إلى كلّ ما يحصل في الكون من أمور بنظرة الجمال والحُسن. وإن لم نفهم تفصيل ذلك لقصورنا المعرفيّ، فكل تدبير هو حسن وجميل في لوحة التّدبير الكاملة.
3. التوجّه إلى الله تعالى في كلّ شيء دون استثناء، فهو المدبِّر لكلّ شيء، وبدون تدبيره لن يحصل شيء.
4. الاعتقاد بأنّ كلّ الأسباب هي وسائط ووسائل لوصول الفيض الإلهيّ من الله عزّ وجلّ.
5. الالتزام بمرجعيّة التّشريع الإلهيّ في كلّ شيء، وعدم اللّجوء إلى أيّ قانون يخالف هذا التّشريع باعتبار عدم اجازة المشرِّع الحقيقيّ بهذا اللجوء.

ثواب ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

عن الإمام الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«من قال أربع مرّات إذا أصبح: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فقد أدّى شكر يومه، ومن قالها إذا أمسى قد أدّى شكر ليلته»**[1].

(1) الكلينيّ، الكافي، محمّد، ج2، ص 503.

6

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ / مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

الرّحمن الرّحيم

لماذا كرّر الله عزّ وجلّ في سورة الفاتحة هاتين الصفتين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟! فهل هو لمجرّد التّأكيد على رحمة الله الرّحمانيّة والرّحيميّة، أم أنّ هناك إشارة إلى أمرٍ آخر؟

يمكن القول بأنّه إضافة إلى تأكيد الرّحمة هناك معنى يرتبط بالحمد لله، فالحمد، كما تقدّم يتضمّن معنى الثّناء، وكذا معنى **«الشّكر»**، فحينما يقول المؤمن **«الحمد لله»** فإنّ حمده هو ثناء لله عزّ وجلّ، لأنّ حسنه وجماله تعالى ذاتيّ له، وإدراك هذا الأمر، بغضّ النّظر عن إنعامه وإحسانه، يقتضي الحمد، إلاّ أنّ الله عزّ وجلّ يشير إلى مقتضٍ آخر للحمد يضاف إلى الحسن الذاتيّ، وهو إنعامه وإحسانه من خلال تدبيره الدّائم لخلقه، لذا أراد الله عزّ وجلّ أن يلفت الإنسان إلى هذا الإنعام،

فقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فالحمد: لله ذاتاً، ولربّ العالمين إنعاماً وإحساناً.

إلاّ أنّ حمده لا يقتصر سببه على هذين السّببين الحسن الذاتيّ والإحسان الفعليّ، بل هناك سبب آخر، وهو يتعلّق بما يرغب الإنسان ويريده منه من الرّحمة في الدّنيا والآخرة، ولذا أكمل الله عزّ وجلّ متعلّق الحمد بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فإلى هذه الآية يعلّمنا الله تعالى ثلاثة دروس:

1. أن نحمده لأنّه يستحقّ الحمد بذاته.
2. أن نحمده لأنّه المنعم والمحسن.
3. أن نحمده لأنّنا نرغب في رحمانيّته ورحمته.

وهناك درس رابع من دروس الحمد يتعلّق بسبب رابع لحمد الله ألا وهو الرّهبة من الجزاء في الآخرة حيث يظهر عدله، مع رجاء الحامد أن يظهر فضله، لذا عقّب الله تعالى بقوله **«مالك يوم الدّين»**[1].

(1) أنظر: الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص 454.

مالك يوم الدّين

في هذه الآية قراءتان: مالك يوم الدّين، ومَلِك يوم الدّين.

معنى مالك/ مَلِك

المالك من المِلك (بكسر الميم)، وهو الذي يملك الأشياء، والله عزّ وجلّ يملك كلّ شيء تكوينيّاً، بينما ملك الإنسان هو مجرّد أمر اعتباريّ مجعول في المجتمع الإنسانيّ، فما معنى أنّي أملك هذا البيت، أو هذا الكتاب، أو هذه الأموال، فإذا وهبتك أو بعتها انتقلت إلى الموهوب له، أو المشتري، وإذا متُّ انتقلت إلى الورثة. إنّها مجرّد أمور اعتباريّة لتنظيم الحياة الاجتماعيّة للنّاس.

أمّا الله عزّ وجلّ فهو المالك الحقيقيّ لكلّ شيء، لذا فإنّ الملك الاعتباريّ لا يكون إلاّ إذا كان بإذن تشريعيّ من الله عزّ وجلّ، وإلاّ فإنّ أيّ شيء لا يحصل من دون هذا الإذن الإلهيّ.

هذا في الدّنيا، أمّا في الآخرة فلا يوجد هذا الاعتبار؛ إذ ينجلي المشهد الحقيقيّ هناك، وتظهر ملكيّة الله عزّ وجلّ لكلِّ شيء، ويسقط كلّ اعتبار.

والمَلِك من المُلك (بضمّ الميم) ومعناه ملكيّة الحُكم، فالله عزّ وجلّ هو الحاكم والسّلطان والمدبِّر تكوينيّاً وتشريعاً.

وحكم الإنسان وسلطته في هذه الدّنيا، ما لم تكن بالمشيئة الإلهيّة يكون باطلاً. وتوهّم هذه السلطة يزول يوم القيامة. وكما ورد عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام: **«الأمر يومئذٍ، واليوم كلّه لله، يا جابر، إذا كان يوم القيامة بادت الحكام، فلم يبقَ حاكم إلاّ الله»**[1].

وهذا ما يعبِّر الله عزّ وجلّ عنه في كتابه العزيز: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[2]، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[3].

---

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج7، ص 95.

(2) سورة الإنفطار، الآية 19.

(3) سورة غافر، الآية 16.

معنى الدّين

المشهور بين المفسّرين أنّ الدّين في الآية هو بمعنى الحساب والجزاء. والواضح أنّ الحساب والجزاء متناسبان لترتّب الجزاء على الحساب، فيكون معنى يوم الدّين أي يوم الحساب والجزاء الذي هو يوم القيامة.

وقد ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أنّ الدّين هو بمعنى الطّاعة والانقياد، فـ دان له أي انقاد وطاع، وبهذا فُسّر قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾[1] أي في طاعته، وبما أنّ الطّاعة تكون لمن له الحكم، فقد ذكر الطريحيّ تفسيراً ثانياً لـ دين الملك في الآية وهو حكم الملك، ففسّر الدّين بالحكم، وأجرى هذا التفسير على سورة الفاتحة، ففسّر قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الحكم[2]، وبهذا قارب معنى الحساب والجزاء، فالحكم ينطلق من الحساب،

(1) سورة يوسف، الآية 76.

(2) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة، ج2، ص 319.

ويتحقّق بالجزاء، ولعلّه بهذا المعنى خاطب الأعشى الشّاعر رسول الله ﷺ بقوله: يا سيّد النّاس، ويا ديّان العرب»، حينما طلب منه ﷺ أن يردّ إليه زوجته التي نشزت وعاذت برجل يدعى مطرق بن بهصل[1]. وأيضاً بهذا المعنى الحديث «عليّ ديّان هذه الأمّة»[2]، والذي فسّره الزمخشريّ بقاضيها[3].

معانٍ أخرى للدّين

ولا يقتصر استعمال الدّين بما تقدّم، فقد ذكر له معاني أخرى، من قبيل «القهر» وبه فسّر البعض حديث «الكيِّس من دان نفسه» أي قهره، مع أنّه يمكن أن تكون كلمة دان بمعنى حاسب، ومن قبيل «الملّة» فالدّين الإسلاميّ أي الملّة الإسلاميّة، وقد ذكر البعض أنّ هذا المعنى مأخوذ من معنى

(1) أنظر: الميانجي، الأحمدي، مكاتيب الرسول، ط1، (لا،م)، دار الحديث، 1998م، ج3، ص 428.
(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج24، ص 272.
(3) الزمخشريّ، محمود، أساس البلاغة، (لا،ط)، القاهرة، دار ومطابع الشّعب، 1960م، ص 291.

متقدّم هو الطاعة والانقياد للشّريعة[1] أو معنىً متقدّم هو الجزاء، لأنّه يترقّب من متبّعه الجزاء، فما من أصحاب دين إلاّ وهم يترقّبون جزاء من ربّ ذلك الدّين. وفي هذا المعنى ورد قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[2].

وفي هذا الإطار بدأت تعريفات عديدة للدّين من قبيل أنّه **«وضع إلهيّ يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرّسول»**[3].

وعرّفه السجستانيّ بأنّه **«ما يتديّن به الرّجل من الإسلام أو غيره»**[4] ومن العلماء المعاصرين عرّفه الشّيخ اليزديّ بأنّه **«إيمان بخالق الكون والإنسان والتّعاليم والأحكام العمليّة الملائمة لهذا الإيمان»**[5].

---

(1) أنظر: الزبيديّ، محمّد، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1414هـ، ص 217.

(2) سورة آل عمران، الآية 19.

(3) الجرجانيّ، علي، التّعريفات، تحقيق محمّد صديق، ط1، القاهرة، دار الفضيلة، 1986م، ص 92.

(4) السجستانيّ، محمّد، غريب القرآن، تحقيق يوسف المرعشليّ، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1410هـ، ص 226.

(5) اليزديّ، محمّد تقي مصباح، دروس في العقيدة، ترجمة هاشم محمّد، (لا،ط)، قم، (لا،ن)، 1997م، ج1، ص 27.

وقد اعتاد بعض المترجمين أن يترجموا كلمة **«الدّين»** بـ (Religion) اليونانيّة الأصل، مع أنّ معجم أكسفورد عرّف هذا المصطلح اليونانيّ بـ **«طريقة الرهبان المبنيّة على النّذور، وبالتّالي، فهي تختصّ بحياة الأفراد والجماعات، وهو مجال المقدّس والممارسات الرّوحيّة والعقديّة»**[1].

وقد تمّ الاعتراض على هذه التّرجمة من مسيحيين ومسلمين، فقد صرّحت **«صوفي لولس»** أنّ استعمال لفظ Religion قليل في الإنجيل، مستنتجة أنّ الاستعمال المناسب لهذه الكلمة يجب أن يُحال على معنى العقيدة ربما هي الاستجابة الدّاخليّة للنّداء الإلهيّ»[2].

وكذلك رفض محمّد الشّرقاويّ هذه التّرجمة ونفى التّرادف بين كلمة **«الدّين»** وكلمة **«Religion»**، وتعني رعب وخوف الإنسان في حضرة الرّوح أو الإله[3].

---

(1) هوكنز، جويزم، قاموس أكسفورد الأساسيّ، منشورات ذوي القربى، ط1، قم، كيميا، 1426هـ، ص 487.

(2) قعلول، أحمد، مجلّة أقلام، السّنة 6، العدد 23، بغداد، دار الشّؤون الثّقافيّة، 2008م، ص 10.

(3) الشّرقاويّ، محمّد، مقارنة الأديان، ط1، مصر، دار الفكر، 2002م، ص 9.

معنى يوم

إنّ لفظ اليوم المتداول عند العرب يعني الامتداد الزمنيّ المبتدئ من طلوع الشّمس إلى غروبها، وهو ما يعبَّر عنه بالنّهار مقابل الليل، وهو المعنى المراد من الأيّام في الشّعر المنسوب إلى السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

صُبّت عليّ مصائب لو أنّها
صُبّت على الأيّام صرن ليالي[1]

ولعلّ هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾[2].

وهذا المعنى لليوم مرتبط بوجود الحركة المنتظمة في دوران الأرض حول نفسها وموقعها من الشّمس. لذا فإن استُعمل لفظ اليوم خارج هذا الانتظام فلا يكون المعنى السّابق تفسيراً صالحاً لليوم.

---

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج79، ص 106.

(2) سورة الكهف، الآية 19.

وعليه نفهم قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[1]، فإنّ خلق السموات والأرض كان قبل وجود الكواكب وانتظامها، فلا بدّ أن نفسّر الأيّام بما يتناسب مع ذلك الواقع الذي كان خالياً من وجود الكواكب. لذا فسّرت الأيام بالمراحل أي أنّ الله عزّ وجلّ خلق السموات والأرض في ستّ مراحل، ولم يحدّد تعالى في كتابه العزيز هذه المراحل التي استقرب البعض أنّها عبارة عن:

1. خلق البخار والماء.
2. خلق الجماد.
3. نظم السماوات والأرض.
7. خلق النّبات.
5. خلق الحيوان.
6. خلق الإنسان[2].

(1) سورة الفرقان، الآية 59.

(2) مصطفويّ، حسن، التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط1، طهران، مؤسّسة الطباعة والنّشر، 1417هـ ج5، ص 47.

وبالخلفيّة ذاتها نفهم قوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[1].

أمّا تسمية المراحل بالأيّام فلعلّه لقصور اللغة العربيّة عن التّعبير المطابق للمعنى المراد، فاللغة حدثت على أساس الاحتياجات في المجتمع الإنسانيّ في علاقة أفراده بعضهم مع بعض، فكانت الألفاظ ملبّية لتلك الاحتياجات في عالم الإنسان وعلاقته مع الطّبيعة.

وقد استخدم القرآن الكريم تلك الألفاظ في معانٍ غير معهودة للإنسان، إلاّ أنّه قادر على تجريدها **«وتعشيبها»** بما يتلاءم مع الحقيقة والمراد، فحينما يَنسب الله تعالى إلى ذاته صفتيّ السّميع والبصير، فلا بدّ من تجريدهما من المعاني المادّية غير المناسبة تكوينيّاً في نسبتها إلى الله عزّ وجلّ، وهكذا حال نسبة الكيد والمكر إليه تعالى. على هذه القاعدة نفهم معنى الأيّام بالمراحل، وقد يأتي

(1) سورة فصّلت، الآية 12.

إلى ذهن البعض سؤال مفاده: لمَ لم يعبِّر الله عزّ وجلّ بالمراحل بدل الأيّام؟

إلاّ أنّه بالتفاتته لمعنى المراحل يتراجع عن هذا السؤال؛ لأنّ المراحل جمع مرحلة، وهي مأخوذة من الرّحلة، والرّحلة تتعلّق بقطع مسافة من مكان إلى مكان، واقعة بحيّز زمني ممتدّ من زمان إلى زمان، وهذا المعنى لا يتناسب مع الواقع قبل خلق السموات والأرض حيث لا مكان ولا زمان كما هو واضح. وهكذا الحال في أيّ لفظ قد يحتمله الإنسان ليكون في مقابل الأيّام.

وما تقدّم لا بدّ من ملاحظته في تفسير «يوم» في قوله تعالى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فمن الواضح أنّ المراد به يوم القيامة الذي سمي كذلك لأنّ النّاس يقومون فيه على حدِّ تعبيره تعالى ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

(1) سورة المطففين، الآية 6.

وهذا اليوم كما ذكر القرآن الكريم يقع بعد النّفخ الثاني الآتي بعد النّفخ الأوّل الذي تتغيّر فيه ملامح الكون كما نلاحظ في الآيات الكريمة الآتية:

1. ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[1].
2. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾[2]. أي قلعت عن شدّة التزاق، كقلع جلدة الرأس عن مكانها[3].
3. ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾[4]. فسِّر المهل بعكر الزّيت، وبالصّفر المذاب، وبالجاري بغلظة وعكرة على رفق، من أمهله إمهالاً[5].
4. ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾[6]. والسّجل هو ما يكتب عليه، فالمراد

---

(1) سورة الانشقاق، الآية 1.

(2) سورة التكوير، الآية 11.

(3) الطوسيّ، محمّد، التبيان، ج10، ص 283.

(4) سورة المعارج، الآية 8.

(5) الطوسيّ، محمّد، التبيان، ج10، ص 113.

(6) سورة الأنبياء، الآية 104.

أنّ الله تعالى يطوي السّماء ويكون حالها كالصّحيفة المكتوب فيها الكتاب أي الألفاظ والمعاني التي يكون لها تحقّق من خلال الخطوط والنّقوش، فحينما تطوى الصّحيفة يغيب الكتاب بالطّيّ، ولا يظهر منه عين ولا أثر، وكذلك حال السّماء تنطوي بالمقدرة الإلهيّة، فتغيب عن غير الله عزّ وجلّ، كما يغيب الكتاب في السّجل[1].

5. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[2]. أي تفرّقت بتركها مواضعها التي طالما ركزت فيها، وكأنّ الكواكب لآلئ منظومة قطع سلكها، فانتثرت وتفرّقت[3].

6. ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[4]. ويحتمل في معنى الانكدار أمران:

---

(1) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج14، ص 328.
(2) سورة الانفطار، الآية 2.
(3) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج20، ص 223.
(4) سورة التّكوير، الآية 2.

الأوّل: السّقوط، فانكدار الطّائر من الهواء يعني انقضاضه نحو الأرض، وعليه فانكدرت أي سقطت.

الثاني: ذهاب الضّوء، فيكون الانكدار من الكدورة، وهي السّواد، فمعنى انكدار الشّمس أي تغيّر ضوئها، وهذا ما يتواءم مع آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾[1].

7. ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[2]. والتّكوير هو اللّفّ على طريقة التّدوير والتّطويف، كلفّ العِمامة على الرأس، ولعلّ المراد بتكوير الشّمس انطلام جرمها على نحو الإحاطة من باب المجاز في التّعبير[3].

8. ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ﴾[4]. ومعنى خسوف القمر أي زوال نوره.

---

(1) سورة المرسلات، الآية 8.

(2) سورة التّكوير، الآية 1.

(3) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج20، ص 213.

(4) سورة القيامة، الآيتان 7-8.

9. ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[1]. وعن تفصيل هذا التّبديل يحدِّث القرآن الكريم عن التغييرات التي تحصل ونعرض منها الآتي:

1.9.﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾[2].

2.9. ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾[3]. والبسّ هو الفت الذي يحصل بتحويل الجسم إلى أجزاء صغار تتلاشى كالدّقيق أو هو بمعنى التسيير الوارد في قوله تعالى:﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾[4].

3.9. ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾[5]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾[6].

ولمعنى هاتين الآيتين احتمالان:

الأوّل: أنّ معنى فُجّرت وسُجّرت أي اتّصلت بشكلٍ

---

(1) سورة ابراهيم، الآية 48.

(2) سورة الانشقاق، الآية 3.

(3) سورة الواقعة، الآيتان 5-6.

(4) سورة النبأ، الآية 20.

(5) سورة الانفطار، الآية 3.

(6) سورة التّكوير، الآية 6.

يختلف عمّا هي عليه اليوم، حيث ستفيض جميعها، وتتمزّق حدودها، وتصير بحراً واحـداً بسبب الـزّلازل المرعبة، وتتحطّم الجبال وتسقط في البحار[1]. وهذا التّفسير يعود لكون التّفجير يأتي بمعنى الخرق، إذ سُميّ الفجر فجراً لأنّ ضياءه يخرق الظّلام، ولكون التّسجير يأتي بمعنى الملء، فيكون معنى سُجّرت أي امتلأت[2].

الثّاني: أنّ معناها الانفجار والاحتراق حيث تتحوّل مياه البحار والمحيطات إلى قطعة من نار لاهب، وذلك لأنّ الماء يتكوّن من عنصرين شديدي الاشتعال هما الأوكسجين والهيدروجين، فلو تحلّل الماء إلى عنصريه، فسيكفيه شرارة صغيره لجعله قطعة ملتهبة من النّيران[3].

إنّ هذا المشهد الكونيّ الذي عرضه القرآن الكريم ليوم القيامة لا يتلاءم مع تفسير اليوم بالمعنى المتعارف

---

(1) الشّيرازيّ، ناصر، الأمثل، (لا.ط)، (لا.م)، (لا.ن)، (لا.ت)، ج19، ص 479.

(2) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج20، ص 223.

(3) Levie, R, the electrolysis of water, journal of electroamalytical chemistry 476,October 1999, page 92-93.

عليه وهو الامتداد الزمنيّ من طلوع الشّمس إلى غروبها، بل هو يعبِّر عن نحو امتداد في الزّمن قد يُقارَب بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

وعليه فمالك يوم الدّين هو صاحب الحكم والسّلطة والحساب والجزاء يوم القيامة حيث يظهر الله فيه عدله وفضله بما يقتضي أن يحمد الإنسان عليه.

الحساب يوم القيامة

قال الله عزّ وجلّ:

- ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾[2].
- ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[3].
- ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾[4].

(1) سورة الحجّ، الآية 47.
(2) سورة الغاشية، الآيتان 25-26.
(3) سورة الأنبياء، الآية 1.
(4) سورة البقرة، الآية 284.

- ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾[1].

- ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2].

وعن الإمام الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامْ: **«فما من لحظة، ولا كلمة، ولا نقل قدم، ولا شيء فعله، إلاّ ذكره كأنّه فعله تلك السّاعة»**[3].

ثواب القول: (مالك يوم الدّين)

ورد في الحديث النّبويّ الشّريف: **«إذا قال العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قال الله تعالى: أشهدكم، كما اعترف بأنّي مالك يوم الدّين، لأسهلنّ يوم الحساب حسابه، ولأتقبلنّ حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيّئاته»**[4].

(1) سورة الكهف، الآية 49.
(2) سورة الأنبياء، الآية 47.
(3) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج7، ص 315.
(4) الصّدوق، محمّد، الأمالي، ص 240.

7

إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ

بعد أن يستحضر قارئ الفاتحة «الله» عزّ وجلّ فيحمده لجماله وحسنه وكماله في جميع أنحاء الكمال، ويحمده لإنعامه وإحسانه من خلال ربوبيّته وتدبيره لجميع خلقه، ويحمده لرحمانيّته العامّة ورحيميّته الخاصّة، ويحمده لحاكميّته وسلطانه وحسابه النّاس وجزائه لهم...

بعد كلّ هذا الاستحضار، وجميع هذه المحامد ينتقل المؤمن القارئ من لغة الغائب إلى لغة الحضور، فيستعدّ للخطاب المباشر مع الله صاحب المحامد كلّها، معتقداً موقناً بأنّ من كان له هذه الصّفات فهو وحده يستحقّ العبادة دون سواه، وهو وحده يستعان به دون غيره، فهو متفرّد في العبادة والاستعانة، لذا فإنّه يقف مستشعراً وحدة الله، معلناً اندماج ذاته مع سائر المعتقدين بتلك الكمالات الحامدين لتلك المحامد ليقول لله مباشرةً، بكلّ

إيمان، وبكامل الاعتقاد، وبمجمع اليقين، دون أيٍّ وسيطٍ، ومن دون أيّ حاجب: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[1].

معنى العبادة

تأتي العبادة في اللغة بعدّة معان:

1. الطاعة التي تعني اللّين مقابل العصيان الذي يناسب معنى التصلُّب، لذا سمّيت العصا عصا؛ لأنّها غير ليّنة، بل متصلّبة، وعليه، فالعابد هو المطيع الليِّن في سلوكه تجاه معبوده، بحيث لا يعصي ولا يعتدي، في مقابل العاصي الذي لا يتفاعل مع معبوده، وينحرف عن ما أراد.

وهذا المعنى هو المراد من قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[2].

فعبادة الشّيطان لا يراد منها جعله ربّاً، بل أن لا يكون

---

(1) سورة الفاتحة، الآية 5.

(2) سورة يس، الآية 60.

ليّناً أمام وساوسه، فيسلك كما يريد، وبالتّالي ينحرف عن الاستقامة ومسار التّكامل.

2. التذلّل الذي هو نوع من الخضوع والانقياد، ففرس ذلول أي سهل الانقياد، ومعنى قوله عزّ وجلّ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾[1] أي ممهَّدة للعبور عليها بسهولة، وبهذا المعنى سمّيت الأرض التي كانت وعرة فمهِّدت وذلِّلت من كثرة السّير عليها، أو بواسطة العمل البلديّ مثلاً، بأنّها **«معبّدة»**.

وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2]، فتعبيد فرعون لبني إسرائيل بمعنى إخضاعهم له، بحيث أصبحوا منقادين بسهولة.

3. التألّه الذي هو المعنى المنصرف من العبادة إن وردت من دون قرينة، وبهذا المعنى ورد قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾[3].

(1) سورة الملك، الآية 15.

(2) سورة الشعراء، الآية 22.

(3) سورة الرّعد، الآية 36.

بناءً على ما تقدَّم فإن العبد يُطلق على الإنسان في نسبته إلى الله تعالى باعتبارين:

الأوّل: بالمعنى الثّاني وهو الخاضع؛ لأنّ الإنسان، بشكل مطلق، خاضع لله في وجـوده وشؤونه، حتى لو عصى الله وتمرّد عليه، فإنّ ذلك لا يتنافى مع هذا الخضوع التكوينيّ؛ لذا فإنّ إطلاق العبد بهذا المعنى لا يدلّ على تكامل هذا الإنسان.

الثّاني: بالمعاني الثّلاثة المتقدّمة وذلك حينما يكون الإنسان باختياره متألّهاً، خاضعاً، مطيعاً لله عزّ وجلّ، كالوارد في صفة الرّسول الأعظم ﷺ في تشهّد الصّلاة: **«أشهد أنّ محمّد عبده ورسوله»**.

وبهذا المعنى يدلّ مصطلح العبد على الحريّة الحقيقيّة للإنسان، فالإنسان إمّا أن يكون عبداً لأهوائه ونحوها، وإمّا عبداً لله، فيتحرّر من كلّ ما هو غير الله عزّ وجلّ من أهواء وغيرها، ولذا فإنّ أمّ السيّد مريم حينما نذرت أن

يكون ما في بطنها في خدمة الله في معبده قالت ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[1].

وفي هذا الإطار ورد حوار لطيف بين الإمام موسى الكاظم عليه السلام وجارية لرجل يدعى **«بشر»** كان معروفاً أنّه من الفاسقين الماجنين في تلك البلدة، فسألها الإمام عليه السلام حينما كانت ذاهبة لرمي القمامة: يا جارية! صاحب هذه الدّار حرٌّ أم عبد؟ فقالت: بل حرّ، فقال عليه السلام: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه!. فلمّا دخلت، قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده»[2]، ومن حينها اشتهر بـ **«بشر الحافي»**.

(1) سورة آل عمران، الآية 35.

(2) العلّامة الحلّي، الحسن، منهاج الكرامة، تحقيق عبد الرحيم مبارك، ط1، مشهد، انشتارات تاسوعاء، 1379هـ.ش، ص 59.

معنى الاستعانة

الاستعانة طلب المعونة أيّ المساعدة وذلك أنّ «است» التي ترد في أوّل صيغ الاستفعال تدلّ على طلب الفعل، فالاستفهام طلب الفهم والاسترحام طلب الرّحمة، وعليه فالاستعانة هي طلب العون، وهي تتعدّى بالباء، فيقال استعنت به، وبدونها فيقال استعنته، فالاستعانة بالله عزّ وجلّ هي طلب العون من الله وأن يكون عزّ وجلّ المساعِد والظهير للإنسان في فعله.

تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

﴿إِيَّاكَ﴾ في الجملتين هي في موقع مفعول به، وتقديمه على الفعل في اللغة العربيّة يكون لإفادة الحصر، فإيّاك نعبد أي نعبدك أنت فقط دون غيرك، وإيّاك نستعين أي نستعينك أنت فقط دون سواك وهذان الخطابان تلقين من الله عزّ وجلّ للإنسان أن يعلن توحيده لله تعالى في العبادة والاستعانة، فلا يعبد إلاّ الله، ولا يستعين إلاّ به.

وقد جاء هذا الخطاب التلقينيّ بعد استحضار الله كمالاً وجمالاً، إنعاماً وإحساناً، رحمانيّة ورحيميّة، حساباً وجزاءً، فهو المالك لكلّ شيء، المدبِّر لكلّ شيء، القائم على كلّ شيء، المطّلع على كلّ شيء، القاهر لكلّ شيء، المجازي لكلّ أحد. وبالتالي فهو وحده المعبود دون غيره، المستعان به دون سواه.

وبالخلاصة إنّ قول المؤمن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو إعلان منه أمام الله عزّ وجلّ بالتّوحيد في العبادة والاستعانة، مقابل الشّرك بهما، وهو ما نوضحه بالآتي:

أنواع الشّرك بالعبادة في القرآن الكريم

إنّ الشّرك بالله تعالى له مراتب ومعانٍ عديدة، منها ما يؤثّر على الإسلام بالمعنى العقائديّ، ويكون له آثار فقهيّة، ومنها ما يكون بمراتب أخرى على المستويين العقديّ والفقهيّ.

وما نعرضه هنا من أنواع عبادة رفضها القرآن الكريم،

لا يعني، حتماً، ذلك النّوع الأوّل.

وعليه نعرض آيات من القرآن الكريم ذكرت أنواعاً من العبادة يقوم بها الإنسان لغير الله تعالى وهي:

1. عبادة الهوى

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1]، فهذه الآية تفيد أنّ من اتّبع ما تميل به نفسه بسبب الشّهوة أو الغضب أو حبّ السلطة وما شاكل ممّا يحرف الإنسان عن تكامله فهو عابد لهذا الميل والهوى من دون الله تعالى.

2. عبادة الزّعماء

قال الله عزّ وجلّ ناقلاً قول نبيّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2].

فهذه الآية تذمّ فرعون الذي جعل بني إسرائيل عبيداً له، بما أذلّهم به وسلب به حقوقهم، وفرض عليهم طاعته دون الله تعالى، فأصبحوا بذلك عبيداً للزّعيم.

(1) سورة الفرقان، الآية 43.

(2) سورة الشّعراء، الآية 22.

3. عبادة الرّهبان والأحبار

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، والكلام عن اليهود والنّصارى الذين لم يعبدوا علماءهم ورهبانهم بمعنى التّأليه كما تُعبد الأصنام، لكنّهم كانوا يطيعونهم بتسليم لهم بغير إذن من الله تعالى.

4. عبادة الإنسان

في آية شاملة لما مرّ قال عزّ وجلّ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾[2].

دواعي عبادة الله

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التّجار. وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد. وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار»**[3].

---

(1) سورة التوبة، الآية 31.

(2) سورة آل عمران، الآية 64.

(3) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج41، ص14.

وعن نفسه عليه السلام يخاطب الله تعالى بقوله: **«ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»**[1].

يقسّم الإمام عليّ عليه السلام دواعي العبادة إلى ثلاثة:

1. عبادة الخوف من عقاب الله، وهي عبادة العبيد.
2. عبادة الطّمع في ثواب الله، وهي عبادة التّجار.
3. عبادة الله بما هم أهل للعبادة، وهي عبادة الأحرار.

والدّاعي الأخير هو الأعظم من بين الدّواعي وهو يعبّر عن المقام العظيم لمن ينطلق منه في عبادة الله، إلاّ أنّ هذا لا يعني عدم صحّة العبادة في الدّاعيين الأوّلين، فإنّهما ممّا دعا إليهما القرآن الكريم، وحثّ عليهما في العديد من الآيات كما في قوله عزّ وجلّ:

- ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].
- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[3].

---

(1) المصدر السّابق، ج67، ص 186.

(2) سورة الأعراف، الآية 56.

(3) سورة الفتح، الآية 17.

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[1].
- ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[2].
- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾[3].
- ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾[4].

حصر العبادة بالله

تقدّم أنّ للعبادة معاني منها التألّه، بأن تكون عبادة الإنسان لمن يعتقد بأنّه ربّه ومدبِّر أموره، كما أمور الكون، بشكل مستقلّ. وهذا المعنى للعبادة لا يمكن أن يبرَّر بأيّ نحو من الأنحاء إلاّ لله تعالى عزّ وجلّ فهو الخالق الربّ المدبِّر المستقلّ دون غيره.

أمّا المعنيان الآخران وهما الطاعة والذلّ، فممّا لا شكّ

---

(1) سورة المائدة، الآية 9.
(2) سورة الأنعام، الآية 15.
(3) سورة الإنسان، الآية 10.
(4) سورة السجدة، الآية 16.

فيه أنّهما بالأصل لله عزّ وجلّ بحكم العقل والنصّ، إلاّ أنّ الله تعالى قد دعا إلى طاعة بعض النّاس والذلّ لهم في طول طاعته والذلّ له عزّ وجلّ.

وفي هذا قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[1].

وفي هذا أيضاً قال عزّ وجلّ عن الوالدين: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[2].

فالذلّ أمام الوالدين مطلوب من الله، وفي طول عبادته التوحيديّة، إذ يقول عزّ وجلّ في آية أخرى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾[3].

وفي هذا الإطار ورد قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

وعلى أساس ما تقدّم تصحّ مضامين بعض الأحاديث

(1) سورة النساء، الآية 59.

(2) سورة الإسراء، الآية 24.

(3) سورة الإسراء، الآية 23.

(4) سورة المائدة، الآية 54.

دون رفضها بالمطلق، من قبيل الحديث الوارد عن الإمام عليّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«من علمني حرفاً كنت له عبداً»**[1]. أي كنت له خاضعاً خضوعاً يدلّ على الاحترام ومن قبيل قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«أنا عبد من عبيد محمّد»**[2]، فإنّه بمعنى المطيع والذليل والخاضع أمامه إطاعةً لله وخضوعاً له سبحانه وتعالى.

حصر الاستعانة بالله

ما تقدّم في العبادة بمعنى الطّاعة والذلّ يأتي في الاستعانة بالله عزّ وجلّ فالله تعالى هو المستعان بالأصل دون غيره، فالاستعانة بغيره على وجه الاستقلال عن الله انحراف وضلال، إلاّ أنّ هذا لا يتنافى مع الاستعانة بأمر أو أحد في طول الاستعانة بالله تعالى، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ

---

(1) عليّ بن الحسين، الإمام زين العابدين، شرح رسالة الحقوق، ط2، قم، اسماعيليان، 1406هـ، ص 409.

(2) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج1، ص 90.

وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[1]، وبقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[2].

وفي هذا الإطار يأتي التوسّل إلى الله تعالى بالوسيلة التي يرضى والتي أمر بابتغائها بقوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[3]، فإنّ التوسّل بالأنبياء والأوصياء لا يتنافى مع حصر الاستعانة بالله تعالى، بل يقع في طول الاستعانة به.

نعبد ونستعين جمعاً

الملاحظ في التّعبير عن العبادة والاستعانة أنّ فعلهما ورد بصيغة الجمع، فلم يقل الله عزّ وجلّ إيّاك أعبد وإيّاك أستعين، بل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين.

ولعلّ هذه الصياغة هي رسالة من الله عزّ وجلّ للإنسان في أنّ العبادة التي تمثّل غاية خلقه كما ورد

(1) سورة البقرة، الآية 45.

(2) سورة الكهف، الآية 95.

(3) سورة المائدة، الآية 35.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، لا تنحصر بالسّلوك الفرديّ، بل بالجماعة السائرة في سبيل الله، فالتّكامل الجماعيّ هو الهدف من الخلق، كما تقدّم توضيح ذلك في الحوار بين الله عزّ وجلّ وملائكته حينما أخبرهم بخلق الإنسان [2].

من هنا فإن المؤمن في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول لله تعالى: نحن العارفون بك جمالاً وكمالاً، إنعاماً وإحساناً، حاكميةً وسلطاناً نسير معاً في عبادتك حصراً، ونستعين بك معاً وحدك في تحقيق غاية الخلق من خلال التّكامل الاجتماعيّ الإنسانيّ الاختياريّ، وهذا درس عظيم من دروس هذه الآية.

وهذا التّفسير الذي ذكرناه نرجّحه على بقيّة التّفاسير الوارد في سبب الجمع من قبيل:

- أنّ الجمع باعتبار الإنسان يعبد الله ويستعين به

---

(1) سورة الذّاريات، الآية 56.

(2) أنظر: سورة البقرة، الآية 30.

وحده بكلّ القوى والحواسّ التي لديه، فكأنّ لكلّ منها عبادة واستعانة.

- أنّ الجمع باعتبار الإنسان ومن معه من الملائكة الحفظة.
- أنّ الجمع لإرادة نبذ الأنانيّة والذاتيّة للإنسان.

إيّاك سرّ التّكرار

في سبب تكرار إيّاك في سورة الفاتحة بدل القول إيّاك نعبد ونستعين ذُكرت وجوه منها:

1. أنّ التّكرار للتأكيد كما نقول: (قسمت الدار بين زيد وبين عمرو) بدل (بين زيد وعمرو)، لكن يقع الإشكال في أنّ التأكيد يكون إذا كان العامل واحداً كفعل (قسمت) أمّا هنا في الآية فيوجد عاملان (نعبد ونستعين)[1].
2. أنّ ذلك من باب التّعليم أن نجدّد ذكر الله عزّ وجلّ عند كلّ حاجة.

(1) أنظر: الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ج2، ص 28.

3. لأجل رفع توهّم أنّ المعبود هو الله عزّ وجلّ، بينما المستعان هو غيره كالأصنام ونحوها.

ومن المعلوم أنّ الإطناب في محضر الله تعالى وخطابه محبوب للعاشق، فالله تعالى قال لكليمه موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[1]، وكان المتوقّع أن يقول له «عصا». وهو جواب كامل عن السّؤال، إلاّ أنّ النّبيّ موسى عليه السلام لأنّه يخاطب المعشوق أحبّ أن يطيل الكلام معه فقال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[2]

ثواب إيّاك نعبد وإيّاك نستعين

ورد في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنّه إذا قال العبد: إيّاك نعبد، قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي إيّاي يعبد، أشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في

(1) سورة طه، الآية 17.

(2) سورة طه، الآية 18.

عبادته لي. فإذا قال: وإيّاك نستعين، قال الله عزّ وجلّ: بي استعان، وإليّ التجأ، أشهدكم لأعيننّه على أمره، ولأغيثنَّه في شدائده، ولآخذنَّ بيده يوم نوائبه»[1].

(1) الصّدوق، محمّد، الأمالي، ص 240.

8 اُهدِنَا . . .

يتعلّق العبد باسم الله مؤمناً به قوساً للنّزول والصّعود، ويحمد العبد ربّه المدبّر لشؤونه وشؤون الكون كلّه، جمالاً وإحساناً، راغباً برحمته بعد رحمانيّته، خائفاً من حسابه وجزائه، فيخاطبه معلناً فهم مشروعه الذي يشمل الفرد والمجتمع، ويتعهّد هو وجماعة المؤمنين بأن يسيروا في الطّريق التي يُعبّدها لهم، ويرشدهم إليها، عابدين له في سيرهم دون غيره، مستعينين به دون سواه...

إلى هنا وصلنا في تفسير الفاتحة.

وهنا يشعر المؤمن، بتلقين من الله عزّ وجلّ أنّه من خلال التمسّك برحيميّة الله الخاصّة بالمؤمنين يمكن له أن يتقدّم بجرأة الخاضع لسلطان الله الأعظم، ويطلب منه أن يزيده عطاءً على عطائه، فالله تعالى قد منّ عليه وعلى الكون بتدبيره وهدايته التكوينيّة، فسار به قهراً نحو كماله التكوينيّ، ومنّ عليه بتدبيره وهدايته التشريعيّة

فأرسل الرّسل وأنزل الكتب التي تحوي خرائط الوصول إلى الكمال، ودعاه لقراءتها والسّير بهديها.

مع كلّ هذه النّعم يشعر العبد هنا أنّه يمكن أن يتقدّم بجرأة الخاضع لسلطان الله الأعظم المتمسّك برحيميّته، وأن يطلب المزيد على ذلك العطاء، ألا وهو أن يهديه بهداية خاصّة صراطه المستقيم، فيقول لله خضوعاً وأملاً: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

والملاحظ أنّ فعل الهداية تارةً يتعدّى إلى المعمول بالباء وتارةً بدونها، فيقال: اهدنا إلى الصّراط، واهدنا الصّراط، والفرق بينهما يتّضح في ما يأتي.

أنواع الهداية الربّانيّة

1. هداية تكوينيّة، وهي التي يجريها الله عزّ وجلّ في خلقه بالتيسير والقهر والجبر بربوبيّته وتدبيره الكونيّ، فالله تعالى خلق، ولم يترك خلقه، بل سيّر الله عالم الوجود بمسيرة قهريّة بحيث يجري الكون وما فيه إلى كماله الجبريّ، كما نلاحظ في النماذج الآتية:

1.1. النملة ونمط العيش

من خصائص هذه الحشرة الصّغيرة جدًّا أنّها:

- تصنع المساكن والأعشاش لتضع البيض فيها.

- تجمع الحبّ، وتحافظ عليه من الفساد بتفتيته حتى لا ينبت في الرّطوبة، وتقوم بنشره وتجفيفه.

- تتحسّب للمستقبل، فتقوم بأعمال الشّتاء في فصل الصّيف.

- تجعل لبيوتها منافذ تسدُّها في البرد، وتفتحها في الحرّ.

- لديها أسلوب خاصّ في الدّفاع عن نفسها، إذ تستخدم أسلوب الانسحاب التكتيكيّ، ثمّ تُهاجم العدوّ وتقضي عليه/ راجع خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي تقدّمت حول النّملة[1].

1.2. سمكة السّلمون

تفقس أسماك السّلمون (salmon) في مجرى مياه عذبة كالشّلالات، ثمّ تسبح إلى مياه المحيط المالحة،

(1) راجع ص 74-75.

لتقضي معظم وقتها فيه، لكن حينما تريد أن تبيض، فإنّها ترجع إلى ذلك المجرى العذب، كالشّلال، لتبيض فيه، وبعد أن تبيض، تسبح مرة أخرى إلى مياه المحيط المالحة، فإذا أرادت أن تبيض، فإنّها ترجع مرّةً أخرى إلى مكان ولادتها لتبيض فيه، واللافت أنّ السّلمون حينما ترجع إلى الشّلال الذي وُلدت فيه، فإنّها تسبح إلى أعلى النّهر متحدّية التّيارات المندفعة لتصل إلى حيث تضع بيضها.

والمدهش في هذه السّمكة أنّها إذا نُقلت إلى نهر آخر غير الذي وُلدت فيه، فإنّها تشقّ طريقها في النّهر، وتقاوم التّيارات قاصدةً نهر ولادتها[1].

فمن الذي هدى هذه السّمكة إلى ما تقوم به؟!! هل يمكن حصول هذا الأمر من دون قوّة حكيمة تقوم بهدايتها؟!

(1) «A Salamon life: An Incredible Journy». U.S. Bureau of land Mangement. Archived from the original on 25 February 2009.

وعن هذه الهداية التكوينيّة يقول الله عزّ وجلّ:

- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2].

- ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[3].

2. هداية تشريعيّة

إضافةً إلى هدايته التكوينيّة، منّ الله عزّ وجلّ على عباده المختارين بإرشادهم إلى خرائط الوصول إلى كمالهم، فأرسل الرّسل برسالات هي عبارة عن تلك الخرائط التي تشكّل بوصلَة الوصول إلى الكمال الذي راعى الله فيه الإنسان جسداً وروحاً، فرداً ومجتمعاً، دنيًا وآخرةً.

فكان هدى النّاس إلى الكمال هو غاية هذه الرّسالات لذا قال الله عزّ وجلّ:

(1) سورة طه، الآية 50.

(2) سورة الأعلى، الآيتان 2-3.

(3) سورة النّحل، الآية 68.

- ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾[1].
- ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾[2].

3. هداية لطفيّة

الهدايتان السّابقتان التكوينيّة والتّشريعيّة هما عامّتان لكلّ النّاس، وهذه الهداية التي أطلقتُ عليها **«هداية لطفيّة»** هي هداية ربّانيّة يختصّ الله بها بعض عباده بسبب سير تكامليّ اختياريّ يقومون به، فيتدخّل الله عزّ وجلّ بلطفه ليهديهم هداية خاصّة تضاف إلى الهداية التّشريعيّة العامّة، فيضيء لهم نوراً إضافياً يريهم أبواب تكامل لا ترى دون ذلك النّور، ويُغلق أمامهم مسارات خاطئة حتى لا ينحرفوا عن أقرب طريق يوصل إلى كمالهم، ويؤمِّن لهم من يأخذ بأيديهم ليزيدهم هدىً على هدىً.

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان 3-4.

(2) سورة البقرة، الآية 185.

قد نقارب هذه الهداية اللّطفيّة مقابل الهداية التشريعيّة بمثالٍ عرفيّ مساعد، فلو أنّ شخصاً أراد أن يكرم صديقه، فدعاه إلى منزله لإكرامه، فتارةً يعطيه الخريطة التي هي هداية عامّة لا بدّ أن يلتزم بهديها ذلك الصديق ليصل إلى منزل صديقه، وإن شعر خلال ذهابه بعدم وضوح في بعض الاتّجاهات، فلا بدّ له أن يسأل العارفين ليصل إلى مراده.

لكن قد يكون المضيف على درجة عالية من حبّ صديقه، فيرسل له الخريطة، لكنّه حبّاً به يرسل إليه أيضاً سائقاً يأخذه من منزله، ويصعده في سيّارته، ويوصله بها إلى المقصد. فهذه هداية خاصّة.

وقد أخبرنا القرآن الكريم أنّ الله تعالى كما يهدي النّاس إلى طريق تكاملهم، فإنّه له هداية خاصّة ببعض عباده، وهو ما نقرؤه في الآيات الكريمة الآتية:

- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدًى﴾[1].

---

(1) سورة مريم، الآية 76.

- ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[1].
- ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[2].

وهذه الهداية الخاصّة هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

إنّها هداية يشعر من خلالها المؤمن أنّ ألطاف الله الخفيّة تحيط بمسيرته، وأنّ النّور الإلهيّ يضيء له ظلمات الطّريق، وأنّ هناك يداً غيبيّة تأخذ بيده وتسير به، وحينما تواجهه بعض العقبات التي قد تحرف مسيره يشعر أنّ هناك قوّة غيبيّة تعيد توجيهه إلى طريق تكامله.

وهذه الهداية كما تحدث مع المؤمن، فإنّها تحصل مع المجتمع الإيمانيّ في المسار الذي يسلكه لتحقيق المشروع الإلهيّ وهو مجتمع التكامل الإنسانيّ.

(1) سورة محمّد، الآية 17.

(2) سورة الكهف، الآية 13.

(3) سورة العنكبوت، الآية 69.

والمثال المعاصر على ذلك مجتمع المقاومة في لبنان الذي شعر مخلصوه بالهداية الربّانيّة الخاصّة والمدد الإلهيّ المغلِق لمسارات سلبيّة والفاتح لأبواب لم تكن لتفتح لولا تلك العناية وذلك اللّطف.

لقد شعر المقاومون بقلوبهم في حرب تموز في لبنان عام 2006م باستجابة الله لدعائهم الذي طالما ردّدوا في تلك المحنة القاسية: **«يا من إذا تضايقت الأمور فتح لنا باباً لم تذهب إليه الأوهام، فصلِّ على محمّد وآل محمّد، وافتح لأموري المتضايقة باباً لم يذهب إليه وهم، يا أرحم الراحمين»**[1].

هذه الهداية الخاصّة هي التي يطلبها المؤمن في سورة الفاتحة، فقارئها مسلم وقد هداه الله بهدايته العامّة إلى الإسلام، وأوصل إليه خريطة الوصول إلى الكمال، فليست

---

(1) الرّاوندي، قطب الدّين، قصص الأنبياء، تحقيق غلام الخرساني، ط1، (لا،م)، مؤسّسة الهادي، 1418هـ ص 363.

هي التي يطلبها في هذه السّورة، بل يطلب هداية من نوع آخر هي الهداية اللطفيّة.

وبالفرق بين الهداية التّشريعيّة واللطفيّة يكمن الفرق بين اهدنا إلى الصّراط، واهدنا الصّراط.

فاهدنا التي تتعدّى بالألف تعني الإرشاد، فاهدنا إلى الصّراط أي أرشدنا إليه، وهذا يحصل من خلال تبيان الرّسالة التي هي خارطة الوصول إلى الكمال، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[1]، بينما اهدنا الصراط لا تعني طلب الإرشاد إليه، بل طلبه هو، أي أدخلنا الصّراط، وهذا ما يحصل بالهداية اللطفيّة.

الصّراط في اللغة

للصّراط في سورة الفاتحة قراءتان بالصّاد والسّين أي السّراط، والمعنى العامّ له هو الطريق[2]، والمراد من

(1) سورة الشّورى، الآية 52.

(2) الفيّوميّ، أحمد، المصباح المنير، ط1، ايران، دار الهجرة، 1405هـ ج1، ص 274.

الطّريق ما يتوصّل بالسّير فيه إلى المقصود، لذا فهو يطلق على الطّريق المادّي المعروف، وأيضاً على غير المادّيّ، فيقال: الاحتياط طريق النجاة، بغضّ النّظر عن كون هذا الإطلاق حقيقيّاً أو مجازيّاً[1]. ويأتي بمعنى آخر قد يناسب هذا المعنى، إذ يقال سرطته سرطاً أي بلعته[2].

وفي شرح الصّراط سنمضي أوّلاً على أساس المعنى الأوّل، ثمّ بعد ذلك نشير إلى معنى لطيف له يتعلّق بالمعنى الثّاني.

الصّراط في القرآن الكريم

وردت تسمية طريق الله في القرآن الكريم بعنوانين هما: الصّراط والسّبيل، وهذا ما توضحه الآيات الآتية:

سبيل الله

1. ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾[3].

(1) الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص 485.

(2) الفيّوميّ، أحمد، المصباح المنير، ج1، ص 73.

(3) سورة البقرة، الآية: 244.

2. ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ...﴾[1].
3. ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].
4. ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ..﴾[3].
5. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4].
6. ﴿... وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ...﴾[5].
7. ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ...﴾[6].

الصّراط

1. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ...﴾[7].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 261.
(2) سورة آل عمران، الآية: 157.
(3) سورة النساء، الآية: 100.
(4) سورة الأنفال، الآية: 72.
(5) سورة آل عمران، الآية: 195.
(6) سورة آل عمران، الآية: 169.
(7) سورة الفاتحة، الآية: 6.

2. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ..﴾[1].

3. ﴿... وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ...﴾[2].

4. ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ...﴾[3].

5. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ..﴾[4].

6. ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[5].

7. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ...﴾[6].

8. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[7].

9. ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[8].

10. ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[9].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 51.
(2) سورة آل عمران، الآية: 101.
(3) سورة الأنعام، الآية: 126.
(4) سورة البقرة، الآية: 142.
(5) سورة يس، الآية: 61.
(6) سورة الأنعام، الآية: 153.
(7) سورة الشّورى، الآية: 52.
(8) سورة الشّورى، الآية: 53.
(9) سورة سبأ، الآية 6.

الفرق بين الصّراط والسبيل

والمتتبِّع لكلمتيِ السبيل والصّراط في القرآن الكريم يُلاحظ فارقَيْن بينهما.

الأوّل: أنّ كلمة السبيل استعملت لسبيل الله وسبيل غير الله بخلاف كلمة الصّراط التي لم تستعمل إلّا في صراط الله تعالى.

ومن أمثلة استعمال كلمة السبيل لغير سبيل الله الآيات التالية:

1. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[1].
2. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا ﴾[2].
3. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾[3].
4. ﴿فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4].

(1) سورة الأنعام، الآية: 55.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 12.
(3) سورة النساء، الآية: 76.
(4) سورة يونس، الآية: 89.

فالملاحظ في هذه الآيات أنّ كلمة السّبيل استعملت في سبيل المجرمين الكافرين والطاغوت والجاهلين، على خلاف كلمة الصّراط التي لم ترد منسوبة إلى غير الله تعالى.

الثّاني: أنّ كلمة السّبيل وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع «سُبُل» بينما لم ترد كلمة الصّراط إلّا مفردة.

1. ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾[1].
2. ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[2].
3. ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[3].

ويفهم الشهيد الشيخ مرتضى مطهري من جمع كلمة «السبيل» في بعض الآيات وبقاء كلمة الصّراط مفردة، أنّ هذا يعود إلى أنّ معنى سبيل الله هو الطريق الفرعي

(1) سورة إبراهيم، الآية: 12.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 69.
(3) سورة المائدة، الآية: 15.

المؤدّي إلى الهدف الإلهي، فهناك طرق فرعيّة كثيرة تؤدّي إلى ذلك الهدف. أمّا الصّراط فهو الطريق المركزيّ الرئيسيّ، والذي تصبُّ فيه تلك السُّبُل، لذا أفرد الصّراط وجمع السّبيل[1].

ولعلّه من لفظي الصّراط والسّبيل في القرآن الكريم نشأ مصطلح السّير والسّلوك في العرفان الإسلاميّ باعتبار أنّ المطلوب من الإنسان أن يسير ويسلك سبيل الله وصراطه، وأن يتجنّب السّبل عناوين السّير في سبيل الله

نلاحظ في الآيات المتقدّمة المتضمّنة لمصطلح **«في سبيل الله»**، أنّها ذكرت عناوين السّير في هذا السّبيل، وهي بحسب تسلسل تلك الآيات:

1. القتال في سبيل الله.
2. انفاق الأموال في سبيل الله.
3. القتل في سبيل الله.

(1) المطهّري، مرتضى، معرفة القرآن، ترجمة الخليلي، (لا،ط)، بيروت، دار التعارف، ص143.

4. الهجرة في سبيل الله.
5. الجهاد في سبيل الله.
6. الأذى في سبيل الله.

عناوين ما يهدي إلى الصّراط

نلاحظ في الآيات السّابقة المتضمّنة مصطلح الصّراط أنّها ذكرت عنوانين عامّين لا عناوين تفصيليّة وهما:

1. عبادة الله.
2. الاعتصام بالله.

الصّراط بمعنى البلع

تقدّم أنّ للصّراط أو السّراط في اللغة أكثر من معنى، ومن هذه المعاني البلع، فيقال: سرطته أي بلعته. ومن الواضح أنّ البلع فيه جذب للشّيء نحو المقصد. فحينما يبلع الإنسان اللّقمة فإنّ بلعه لا يعني سيرها الانسيابيّ إلى المعدة، بل يعني القيام بفعل داخليّ يجذب هذه اللقمة بسرعة إلى ذلك المقصد.

من هنا نتعمّق في معنى طلب هداية الصّراط، فإنّ مقدّمة هذه الهداية هو الاعتصام بالله بحسب الآية المتقدّمة ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

والاعتصام بالله هو الاعتصام بحبله عزّ وجلّ الوارد في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[2].

ولعلّ التّعبير بالحبل هو الملائم للطريق إلى الله تعالى، الذي من المفترض من النّاحية الأدبيّة أن يكون من أسفل إلى أعلى. والوسيلة الأقرب إلى المقصد التي من خلالها يصعد الإنسان بها إلى الأعلى هي الحبل، ومن الواضح أنّ الصّعود عبر الحبل، بالطّريقة الطبيعيّة تكون عادة متعبة وتحتاج إلى جهدٍ خاصّ، وهنا يأتي قيمة التّعبير بالصّراط، فهو يأتي بمعنى الجذب، فكأن المؤمن العارف بهذا المعنى يقول لله عزّ وجلّ أثناء قراءته لسورة الفاتحة: يا ربّ، إنّا عبدناك وحدك واستعنّا بك دون سواك،

(1) سورة آل عمران، الآية 101.

(2) سورة آل عمران، الآية 103.

واعتصمنا بحبلك، فاهدنا الصّراط أي اجذبنا إليك جذبة خاصّة، لنصل بهدايتك اللطفيّة، وجذبتك الرحيميّة إلى الكمال الذي خلقتنا لأجله.

يبقى الكلام في صفة هذا الصّراط المحقّق لهذه الجذبة والهداية وهو ما أكمَلَتهُ سورة الفاتحة بوصف الصّراط بأنّه المستقيم الذي هو طريق من ثلاث طرق.

9

...الــصِّــراطِ الـمـسْـتَـقِـيـم/
صِــراطَ ٱلَّـذِيـنَ أَنـعَـمـتَ عَلَيهِم
غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

معنى المستقيم

نلاحظ في الآيات السّابقة المتضمّنة للصّراط، وقد تقدّمت، أنّ غالبها وصفَتْهُ بالمستقيم.

والاستقامة تأتي بمعنى الاعتدال مقابل الانحراف، فالطّريق المستقيم هو المعتدل غير المنحرف إلى اليمين أو اليسار.

المستقيم هو الأقرب

ممّا تقدّم نعرف أنّ الصّراط المستقيم هو أقرب الطرق الموصلة إلى الهدف، إذ لا انحراف فيه، لذا يقال: الخطّ المستقيم هو أقرب خط بين نقطتين.

ومن لطائف القرآن الكريم هو إرشاده إلى معنى القرب هذا في الصّراط المستقيم بالنحو الآتي:

- قال عزّ وجلّ: - ﴿... وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[1].

النّتيجة:	الصّراط المستقيم = العبادة

- قال عزّ وجلّ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

النّتيجة:	العبادة = الدّعاء

- قال عزّ وجلّ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[3].

النّتيجة:	الدّعاء ⇦ القرب من الله

فتكون نتيجة هذه الآيات الثّلاث:

الصّراط= العبادة = الدّعاء ⇦ القرب من الله

النّتيجة:	الصّراط ⇦ القرب من الله

(1) سورة يس، الآية 61.

(2) سورة غافر، الآية 60.

(3) سورة البقرة، الآية 186.

الطّرق الثلاث في القرآن الكريم

أرشد القرآن الكريم إلى طرق ثلاث معنويّة غير مادّيّة هي:

الطريق الأولى: هي من الأسفل إلى الأعلى، وهي ما يشير إليها قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، إذ يستفاد من وجود أبواب للسّماء، ولو بالمعنى المجازيّ، أنّ هناك طريقاً صعوديّة من الأرض إلى السّماء أي من الأسفل إلى الأعلى.

الطريق الثّانية: هي من الأعلى إلى الأسفل، وهي ما يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾[2]، إذ يستفاد من الهوي الطّريق المعنويّ من الأعلى إلى الأسفل؛ لأنّه هو الذي من خلاله يتحقّق الهوي.

الطّريق الثّالثة: وهي طريق الضّلال والانحراف التي يسير عليها الإنسان، وهي ما يشير إليها قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[3].

---

(1) سورة الأعراف، الآية 40.

(2) سورة طه، الآية 81.

(3) سورة البقرة، الآية 108.

الطّرق الثّلاث في سورة الفاتحة

وهذا التّقسيم للطّريق يتناسب مع الطّرق الثّلاث التي ذكرها الله تعالى في سورة الفاتحة وهي:

1. صراط المنعم عليهم وهي الصّراط المستقيم.
2. صراط المغضوب عليهم.
3. صراط الضّالين.

الاستقامة وآثارها

إنّ طلب هداية الصّراط المستقيم من الله عزّ وجلّ يقع في إطار العديد من الآيات التي أمر الله فيها بالاستقامة وبيّن ثوابها وآثارها، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[2].

وقد ورد في هذه الآية الأخيرة أنّها السّبب في قول

(1) سورة الشّورى، الآية 15.

(2) سورة هود، الآية 112.

رسول الله ﷺ: **«شيّبتني سورة هود»**[1]، وذلك أنّ الأمر بالاستقامة لم يقتصر على رسول الله ﷺ بل شمل الذين تابوا معه، وهو ما كان النّبيّ الأكرم ﷺ يحمّل همّ تحقّقه في الذين آمنوا وتابوا معه، لا سيّما أنّ هذه الاستقامة ترتبط بالاعتقاد العقليّ والإيمان القلبيّ والسّلوك الخارجيّ، لذا ورد عن رسول الله ﷺ: **«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»**[2].

وقد بيّن الله عزّ وجلّ في الكتاب العزيز آثار هذه الاستقامة في الدّنيا إضافةً إلى الآخرة فقال عزّ وجلّ:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3].
- ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[4].

---

(1) الشيرازيّ، ناصر، الأمثل، ج6، ص 456.
(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج68، ص 287.
(3) سورة فصّلت، الآية 30.
(4) سورة الجنّ، الآية 16.

صراط الذين أنعمت عليهم

من هم الذين نسب الله إليهم صراطه المستقيم، ووصفهم بأنّهم الذين أنعم عليهم؟

الجواب في آية أخرى يقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

فهذه الآية تفيد أنّ الذين أنعم الله عليهم هم أربعة:

1. النبيّون، 2. الصدّيقون، 3. الشّهداء، 4. الصّالحون.

وأنّ الذين يكونون مع هؤلاء هم من يتحقّق فيهم شرطان:

1. إطاعة الله عزّ وجلّ.

2. إطاعة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك آية أخرى نستفيد منها شرطين آخرين، وهي تتحدّث عن المهتدين، وهي قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(1) سورة النّساء، الآية 69.

وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

فهذه الآية تفيد أنّ المهتدين هم الذين تتحقّق فيهم صفتان هما:

1. الإيمان بالله.

2. عدم الظّلم.

وباعتبارهم مهتدين إلى الصّراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، تصبح شروط من يكون مع الذين أنعم الله عليهم أربعة هي: 1. الإيمان بالله، 2. طاعة الله تعالى، 3. طاعة الرّسول ﷺ، 4. عدم الظّلم.

غير المغضوب عليهم

الغضب معناه معروف، ولعلّه المرادف له هو السّخط.

والذي يغضب الله عليه ليس أيّ منحرف في العقيدة أو السّلوك بل هو الذي وصل إلى انحراف شديد في أحدهما، وقد تحدّث القرآن الكريم عن نوعين من

---

(1) سورة الأنعام، الآية 82.

الأسباب لغضب الله عزّ وجلّ هما:

النّوع الأوّل: عقائديّ ويتحقّق في التّوغّل في الكفر وعناد الحقّ، وهو ما أشار الله تعالى إليه في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1].

النّوع الثّاني: مسلكيّ ويتحقّق في الطّغيان الذي يعبّر عن درجة عالية من الانحراف في السّلوك البشريّ، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾[2].

ولا الضّالّين

الضّلال هو التيه، ويقابله الهدى، فالضالّون هم الذين سلكوا غير طريق الهدى، وقد ميّز الله عزّ وجلّ الضالّين من المغضوب عليهم، لأنّ هؤلاء الضالّين وإن كانوا قد سلكوا طريق الله المؤدّي بهم إلى التّسافل، إلاّ أنّهم لم

(1) سورة النّحل، الآية 106.

(2) سورة طه، الآية 81.

يعاندوا الحقّ ويتوغّلوا في الكفر كما هو حال المغضوب عليهم.

وقد تحدّث الله عزّ وجلّ عن صفات بعض الضالّين ضلالاً بعيداً بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[1].

المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالّون بين المعنى والتّطبيقات

ما تقدّم كان عبارة عن عرض المعنى العامّ إضافةً إلى عناوين عامّة للمنعم عليهم والمغضوب عليهم والضّالين. وقد ورد في بعض الأحاديث تحديدٌ لهذه العناوين، من قبيل ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمر الله عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم النّبيّون والصّدّيقون والشّهداء والصّالحون، وأن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿هَلۡ**

(1) سورة النّساء، الآية 167.

أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[1] **وأن يستعيذوا به عن طريق الضّالين، وهم الذين قال الله فيهم:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] **وهم النّصارى**[3].

وورد أيضاً عن الإمام الرّضا عليه السلام: «**... ومن تجاوز بأمير المؤمنين العبوديّة فهو من المغضوب عليهم ومن الضّالّين**»[4]. وهذا الحديث ينسجم مع ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الصّراط المستقيم في الدّنيا ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التّقصير واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة**»[5].

ولا بدّ هنا من الإلفات إلى أنّ هذا ليس تفسيراً حصريّاً

---

(1) سورة المائدة، الآية 60.

(2) سورة المائدة، الآية 77.

(3) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج89، ص 256.

(4) المصدر السّابق، ص 257.

(5) الفيض الكاشانيّ، محسن، التّفسير الصّافي، ج1، ص 85.

للآيات، بل هو من باب التّطبيقات، فالقرآن الكريم لا ينحصر بالمصاديق التي قد تكون محلّ نزول الآيات، أو ذكرت في بعض الرّوايات، بل هو يجري في كلّ عصر كما تجري الليل والنّهار، فقد ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«إنّ القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنّهار، وكما يجري الشّمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا»**[1].

وهذا الحديث كان منبع ما سمي بقاعدة الجري والانطباق في القرآن الكريم، والتي تفيد أنّ المورد الذي قد تكون الآية قد نزلت فيه، أو التّطبيق الوارد في بعض الأحاديث المفسِّرة للآيات لا يفيدان حصر الآيات بذلك المورد والتّطبيق إن لم يدلّ دليل خاصّ على ذلك، بل إنّ الآيات تجري وتنطبق على كلّ ما تنطبق عليه تلك الآيات من خلال العناوين التي تحملها.

(1) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج35، ص 404.

الصّراط في ضوء قاعدة الجري

تقدّم أنّ من معاني الصّراط البلع الذي يفيد الجذب، وأنّ طلب هداية الصّراط هو طلب الجذبة الخاصّة من الله تعالى من خلال هدايته اللطفيّة، وأنّ هذه الجذبة الصّراطيّة هي من النّاحية الأدبيّة من الأسفل إلى الأعلى، وهو ما يناسبه لفظ «الحبل» الذي دعا الله عزّ وجلّ إلى الاعتصام به ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾[1]، وهذا يعني أنّ الله تعالى يدعونا أن نتمسّك ونعتصم بهذا الحبل، وحينما نفعل ذلك فإنّ الله تعالى يجذبنا إليه، وهنا يلفتنا حديث الثّقلين الثّابت عند جميع المسلمين بل متواتر عندهم في بعض صيغه، فقد ورد في هذا الحديث النّبويّ الشّريف: «وإنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود بين السّماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بماذا تخلفوني فيهما»[2].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 103.

(2) المجلسيّ، محمّد باقر، بحا ر الأنوار، ج23، ص 147.

فعلى أساس هذا الحديث يكون القرآن الكريم وعترة النّبيّ ﷺ هما حبل الله، وحبل الله هو الصّراط، فيكون القرآن والرّسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم الصّراط الذي دعا الله تعالى إلى التمسّك والاعتصام به وحينها يجذبنا الله بجذبته الخاصّة.

وفي هذا السّياق، ومن باب قاعدة الجري المتقدّمة، ورد عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: **«نحن أبواب الله ونحن الصّراط المستقيم»**[1].

وعليه تكون سورة الفاتحة تدعونا في أواخرها إلى الابتعاد عن الطّرق التي تؤدّي إلى الضّلال والغضب الإلهيّ، واهتداء الصّراط المستقيم الذي يعني الدّخول في مصعد الله ذي الجناحين جناح القرآن الكريم الذي يمثِّل الدّين والدّستور والقوانين، وجناح القيادة والقدوة المتمثِّل بالنّبيّ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وهذا ما يتناسب مع الفقرة القرآنيّة التي تكرّرت ثلاث مرّات في القرآن الكريم

---

(1) المصدر السّابق، ج24، ص 12.

وهو قوله عزّ وجلّ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1]، فإنّ غاية إرسال الرّسول ﷺ، وهي إظهار الدّين على الدّين كلّه لها جناحان هما دين الحقّ والهدى، والأوّل عنوان للقرآن الكريم، والثّاني يمثّل القيادة والقدوة، كما يفهم من قوله عزّ وجلّ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[2]، ويتوضّح في كلام الإمام عليّ عليه السلام: **«فإنّما يجاهد في سبيل الله رجلان، إمام هدىً، أو مطيع له مقتدٍ بهداه»**[3].

(1) سورة التّوبة، الآية 33، سورة الفتح، الآية 28، سورة الصفّ، الآية 9.

(2) سورة الأنعام، الآية 90.

(3) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج7، ص 52.

خلاصات تفسير سورة الفاتحة

يمكن تقسيم سورة الفاتحة إلى ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: ذكر معرفيّ يبدأ من اسم الله الذي يمثّل قوس النّزول خَلْقاً وتدبيراً، وقوس الصّعود علامةً وتوسّلاً، ويستمر بالحمد لله ثناءً على جماله وكماله، وشكراً على إحسانه وإنعامه؛ لأنّه المدبِّر والقيّوم والربّ لكلّ الوجود، ولأنّه ذو الرّحمة التي وسعت كلّ شيء وعمّت جميع الخلق، وذو الرّحمة الخاصّة بالمؤمنين به الحامدين له، ولأنّه صاحب السّلطان والحاكميّة يوم القيامة حيث يحاسب ويجازي فيظهر عدله وفضله.

انطلاقاً من هذه المعرفة يأتي:

المحور الثّاني: وهو تعهُّد من المؤمن الحامد بأنّه ضمن جماعة المؤمنين الحامدين يعبدونه وحده دون غيره، ويستعينون به وحده دون سواه، وغاية ما ينظرون إلى غيره أن يكون النّظر به إليه عزّ وجلّ على أنّه الوسيلة التي تقرّبهم إليه سبحانه.

المحور الثّالث: دعاء أن يُدخِل الله المؤمن الحامد العابد لله وحده المستعين به دون سواه مع زمرة المؤمنين صراطه المستقيم الذي يتمثّل في هذه الدّنيا بكتابه العزيز ورسوله الكريم وعترته الطّاهرة، فهؤلاء صراطه المستقيم، مقابل صراط الذين غضب عليهم، والذين ضلّوا سواء السّبيل.

بهذا تختزن الفاتحة:

1. الإيمان بالله الخالق الربّ للعالمين الرّحمن الرّحيم.
2. الإيمان بالمعاد.
3. الإيمان بالرّسالة والرّسول وآله توسّلاً وقدوةً وقيادةً.
4. التعهُّد مع جماعة المؤمنين بسلوك طريق التّكامل الإنسانيّ بالاستعانة بالله دون سواه.

وعليه:

نحن كلّ يوم نردّد في حدٍّ أدنى عشر مرّات بين يدي الله عزّ وجلّ: إنّنا يا الله:

نُقرُّ بك حامدين: خالقاً، ربّاً، رحمانًا، رحيمًا، ومعيداً.

ونلتزم بتحقيق هدف خلقك لنا من خلال سلوك طريق التّكامل الإنسانيّ الاجتماعيّ مستعينين بك وحدك.

ونطلب منك أن تدخلنا هذا الطّريق بهدايتك اللّطفيّة، فتدخلنا ولاية القرآن والنّبيّ وأهل بيته عليهم السلام، فإنّهم الدّستور والقادة لعبور طريق التّكامل.

إنّها الفاتحة، خلاصة المنظومة الدّينيّة المعرفيّة والسّلوكيّة.

أكرم بركات

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

(أ)

2. ابن أبي طالب، الإمام عليّ عليه السلام، نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، ط1، قم، دار النهضة، 1412هـ.
3. ابن بابويه، عليّ، فقه الرضا، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط1، قم، 1406هـ.
4. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا،ط)، (لا،م)، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ.

(ب)

5. بركات، اكرم، برقية الحسين عليه السلام، ط3، بيروت، بيت السّراج، 2012م.

6. بركات، أكرم، يسألونك عن الأئمّة، ط3، بيت السّراج، بيروت، 2016م.

7. البروجرديّ، حسين، تفسير الصّراط المستقيم، تحقيق غلام البروجرديّ، ط1، قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، 1419هـ.

(ج)

8. الجرجانيّ، علي، التّعريفات، تحقيق محمد صديق، ط1، القاهرة، دار الفضيلة، 1986م.

(ح)

9. الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشّيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط2، قم، 1414هـ.

10. الخمينيّ، روح الله، تفسير سورة الحمد، تحقيق أحمد أصولي، ط1، بيروت، دار الولاء، 2010م.

(خ)

11. الخمينيّ، روح الله، شرح دعاء السّحر، ط1، طهران، نشر آثار الإمام الخمينيّ، 1416هـ، ص 88.

12. الخمينيّ، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، تحقيق ونشر مؤسّسة تنظيم، ط1، إيران، 1418هـ.
13. الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ط4، بيروت، دار الزّهراء، 1975م.

(ر)

14. الرّاوندي، قطب الدّين، قصص الأنبياء، تحقيق غلام الخرساني، ط1، (لا،م)، مؤسّسة الهادي، 1418هـ.

(ز)

15. الزمخشريّ، محمود، أساس البلاغة، (لا،ط)، القاهرة، دار ومطابع الشّعب، 1960م.
16. الزبيديّ، محمّد، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، 1414هـ.

(س)

17. السجستانيّ، محمّد، غريب القرآن، تحقيق يوسف المرعشليّ، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1410هـ.

(ش)

18. الشّرقاويّ، محمّد، مقارنة الأديان، ط1، مصر، دار الفكر، 2002م.

19. الشّيرازيّ، صدر المتألّهين، أسرار الآيات، تصحيح محمد خوا جوى، (لا،ط)، إيران، أنجمي اسلاميّ، 1402هـ.

20. الشّيرازيّ، صدر المتألّهين، تفسير القرآن الكريم، تحقيق محمد شمس الدّين، ط2، بيروت، دار التّعارف، 1998م.

21. الشّيرازيّ، ناصر، الأمثل، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت).

(ص)

22. الصّدوق، محمّد، الأمالي، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة، ط1، قم، 1417هـ.

23. الصّدوق، محمّد، الخصال، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، 1403 هـ.

24. الصّدوق، محمّد، علل الشّرائع، تحقيق محمّد صادق بحر العلوم، (لا،ط)، النّجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، 1966م.
25. الصّدوق، محمّد، الهداية، تحقيق ونشر مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، ط1، 1418هـ.

(ط)

26. الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت).
27. الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، 1415هـ..
28. الطريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق احمد الحسيني، ط2، طهران، مرتضوي، 1362هـ.ش.
29. الطوسيّ، محمّد، التبيان، تحقيق أحمد العامليّ، ط1، (لا،م)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1409هـ.
30. الطوسيّ، محمّد، الخلاف، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، 1407هـ.

(ع)

31. العلاّمة الحلّي، الحسن، منهاج الكرامة، تحقيق عبد الرحيم مبارك، ط1، مشهد، انشتارات تاسوعاء، 1379هـ.ش.

32. علي بن الحسين، الإمام زين العابدين، شرح رسالة الحقوق، ط2، قم، اسماعيليان، 1406هـ.

(ف)

33. الفيض الكاشانيّ، محسن، التّفسير الصّافي، ط2، قم، مؤسّسة الهادي عليه السلام، 1416هـ.

34. الفيّوميّ، أحمد، المصباح المنير، ط1، ايران، دار الهجرة، 1405هـ.

(ق)

35. قعلول، أحمد، مجلّة أقلام، السّنة 6، العدد 23، بغداد، دار الشّؤون الثّقافيّة، 2008م

(ك)

36. الكلينيّ، محمّد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط5، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1363هـ.ش.

(م)

37. المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق ابراهيم الميانجي ومحمّد البهبودي، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403هـ.

38. مرتضى، جعفر، ط1، بيروت، دار السيرة، 1417هـ.

39. مصطفويّ، حسن، التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط1، طهران، مؤسّسة الطباعة والنّشر، 1417هـ.

40. المطهّري، مرتضى، معرفة القرآن، ترجمة الخليلي، (لا،ط)، بيروت، دار التعارف، (لا،ت).

41. موقع سماحة الإمام السيِّد موسى الصدر أعاده الله، imamsadr.net.

42. الميانجي، الأحمدي، مكاتيب الرسول، ط1، (لا،م)، دار الحديث، 1998م.

(هـ)

43. الهيثميّ، عليّ، مجمع الزوائد، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ.

44. هوكنز، جويزم، قاموس أكسفورد الأساسيّ، منشورات ذوي القربى، ط1، قم، كيميا، 1426هـ.

(و)

45. الواسطيّ، عليّ، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، ط1، (لا،م)، دار الحديث، (لا،ت).

(ي)

46. اليزديّ، محمّد تقي مصباح، دروس في العقيدة، ترجمة هاشم محمّد، (لا،ط)، قم، (لا،ن)، 1997م،

47. **«A Salamon life: An Incredible Journy»**. U.S. Bureau of land Mangement. Archived from the original on 25 February 2009.

48. Levie, R, the electrolysis of water, journal of electroamalytical chemistry 476,October 1999.

الفهرس

صدر للمؤلّف عن بيت السّراج للثقافة والنشر:

سلسلة الكتب العلميّة:

1. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين (مترجم إلى الفارسيّة).
2. حقيقة الجفر عند الشّيعة.
3. حقيقة مصحف فاطمة عند الشّيعة (نال جائزة أفضل كتاب لعام 2003م في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران).
4. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف.
5. سفينة العقل-رحلة باحث عن الحقيقة (مترجمة إلى اللغات: الانكليزيّة، الفرنسيّة، الهوسا، السويحلية والاوردو).

سلسلة الأبحاث الفكريّة:

6. الأمّة بين ولاية الفقيه ومرجعيّة التقليد.
7. الآخر في المنظور الدينيّ.
8. فلسفة الشَّهادة، رؤية تحليليّة في ضوء قوَّة الإدراك ومتعلَّقاته.
9. الوطن السياسيّ مقاربة تأصيليّة.
10. الاختلاف العقديّ في نظر العقل المؤمن.
11. قِدم العالم بين الغزاليّ وفلاسفة الأندلس.
12. العقل الفعّال في فلسفة ابن باجة.

سلسلة الكتب التدريسيّة:

13. دروس في علم الدراية (معتمد في المناهج الدراسيّة الحوزويّة).
14. محاضرات في الثقافة الإسلاميّة. (مترجم إلى اللغة الإنكليزيّة).
15. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة.
16. أحكام النساء.

سلسلة الأدب المقاوم:

17. خيوط القبعة.
18. حائك القبعة.
19. رأيت في الجرود.
20. سرُّ حجابي.
21. مشاهد شاميّة.

مجموعة يسألونك (مترجمة إلى اللغات: الانكليزيّة، الفرنسيّة، الهوسا والسويحليّة).

22. يسألونك عن اللّه.
23. يسألونك عن الأنبياء.
24. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام.
25. يسألونك عن الوليّ.
26. يسألونك عن التقليد.
27. يسألونك عن الموت والبرزخ.
28. يسألونك عن القيامة.
29. يسألونك عن الحكم الشرعيّ.
30. الفاتحة -خلاصة المعرفة الدينيّة-.

مجموعة تعارفوا:

31. دليل العروسين، بين الخطوبة والزفاف. (مترجم إلى الإنكليزيّة).
32. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات.
33. 3 حقوق لحياة زوجيّة ناجحة.
34. كيف تجعل ولدك صالحًا؟
35. كيف نتواصل مع النّاس؟
36. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟
37. آية الوصايا العشر.

مجموعة يزكّيهم:

38. ميزان السّير والسّلوك.
39. برنامج السّير والسّلوك.
40. هكذا تكون سعيدًا. (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).
41. كيف ترجع كما ولدتك أمّك؟
42. شهر اللّه وآدابه-مناسباته- أولياؤه.
43. لا تَقرَبوا.
44. كيف نتواصل مع اللّه؟

مجموعة القربى:

45. هذا رسول اللّه صلى الله عليه وآله (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).
46. هذا أمير المؤمنين عليه السلام.
47. هذه فاطمة الزهراء عليها السلام.
48. هذا الحسن المجتبى عليه السلام.

49. الحسين عليه السلام -قيام النور- (وليالٍ عشر).
50. الحسين عليه السلام -سرّ العشق- (وأتممناها بعشر).
51. برقيّة الحسين عليه السلام (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).
52. هؤلاء ذرّيّة الحسين عليهم السلام.
53. قافلة البشريّة -من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجل الله فرجه الشريف-. (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).

سلسلة الكتب التبليغيّة:

54. التبليغ من وحي التجربة.
55. مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف -ذاكرة عشرين عاماً-.

سلسلة الكتب البرتغاليّة:

56. Paulo em busca da verdade
57. **«Assalat»** A ORACAO NO ISLAM
58. UN RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM

سلسلة الدروس الحوزوية (إصدار الكتروني):

- شرح كتاب كفاية الأصول عدد الدروس 211
- شرح كتاب المكاسب المحرّمة عدد الدروس 173
- شرح كتاب المكاسب / البيع عدد الدروس 289
- شرح كتاب فرائد الأصول عدد الدروس 62
- شرح كتاب بداية الحكمة عدد الدروس 88



يمكنكم قراءة جميع الكتب عبر التطبيق الالكتروني **«مكتبة سراج القائم»** من خلال **«رمز الاستجابة السريعة»** (QR code)